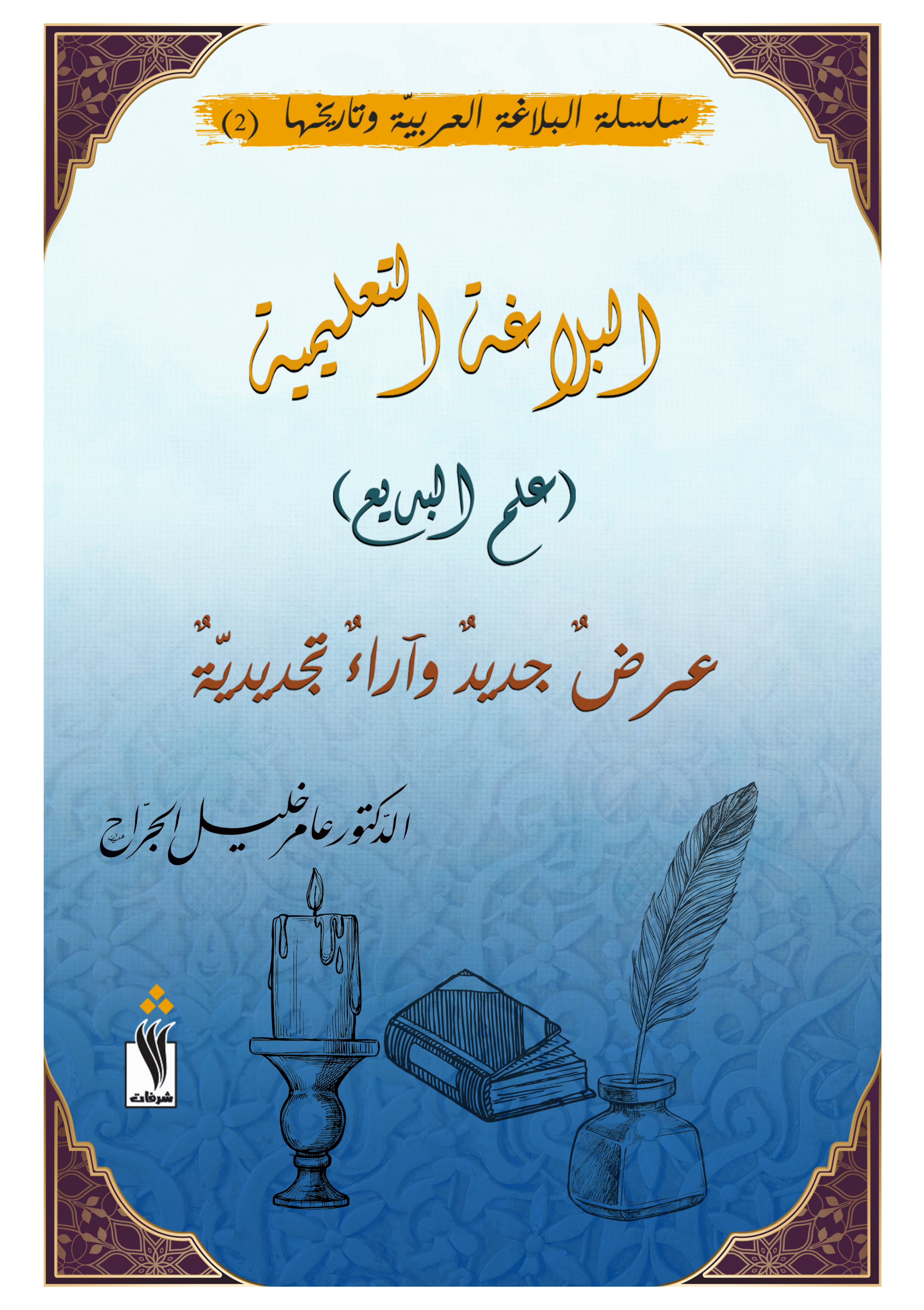
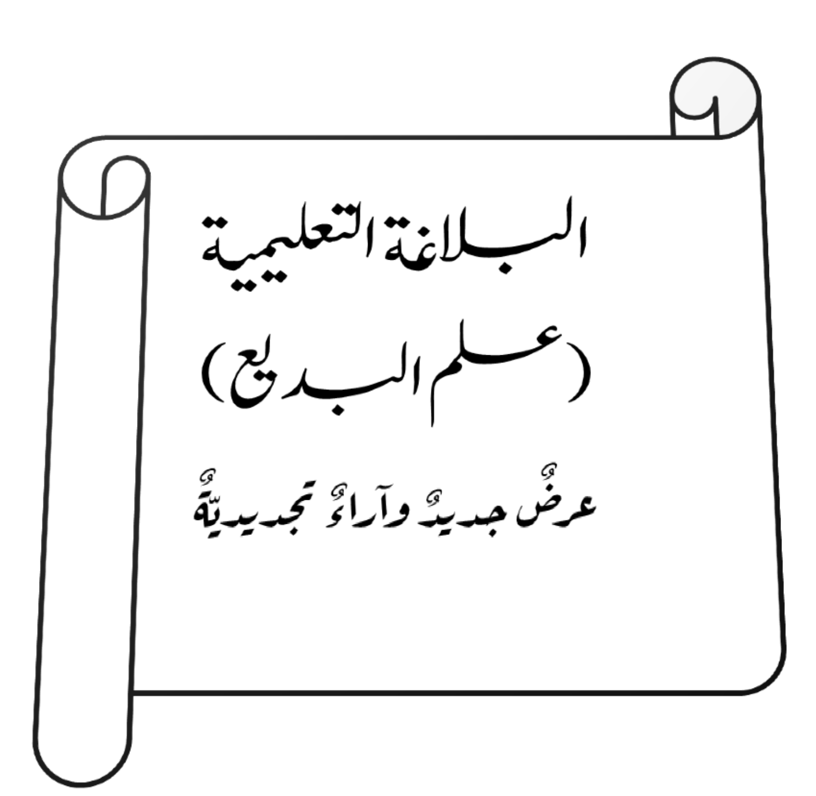

سلسلة البلاغة العربيّة وتاريخها (2)
البلاغة التعليمية
(علم البديع)
عرضٌ جديدٌ وآراءٌ تجديديّةٌ
الدّكتور عامر خليل الجرّاح
شرفات


البلاغة التعليمية
(علم البديع)
عرضٌ جديدٌ وآراءٌ تجديديّةٌ



البلاغة التعليمية

(علم البديع)

عرضٌ جديدٌ وآراءٌ تجديديةٌ

د. عامر خليل الجرّاح

شرفات للنشر والدراسات

الطبعة الأولى، تركيا، 1442هـ/ 2021م

عدد الصفحات: 112 القياس: 24 x 16

ISBN: 978-605-70323-4-8

رقم تسلسل الطبعة : **141**

shurufat@yahoo.com : شرفات للنشر والدّراسات

سلسلة البلاغة العربيّة وتاريخها (2)

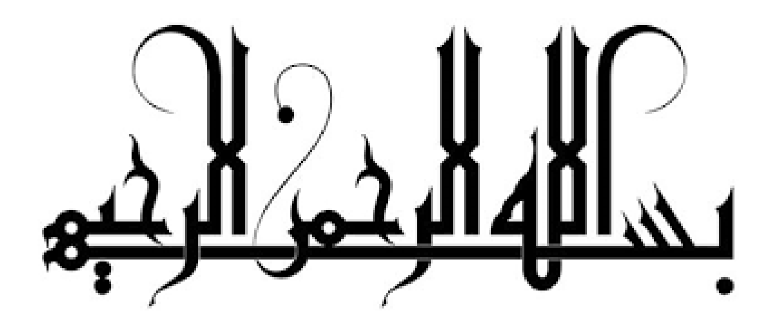
البلاغة التعليمية

(علم البديع)

عرضٌ جديدٌ وآراءٌ تجديديّةٌ

الدكتور عامر خليل الجرّاح

شرفات 1442 - 2021


بسم الله الرحمن الرحيم

إِهْدَاء

إلى الذين سلكوا سبيلَ التماس العلم، وشُغلوا به عن دنياهم وبَهرَجها ،

فوجدوا زهرةَ الحياة فيما سلكوا ، ووجدوا سبيل الجنّة كما وعدَ

الصادق المصدوق؛ صلّى الله عليه وسلّم

أُهدي هذا الكتاب رجاءَ أن أنتفعَ، ويُنتَفعَ به .

إرشادات

1. مراعاة التدرّج في المستويات في التعليم.
2. المستوى الثاني (اقتران المعاني) صعب على المتعلّمين من غير العرب لذلك الأفضل تجاوزه.
3. الكلام المُدرَج تحت عنوان (مُناقشة) في كلّ فنّ هو مُخصّص للطلبة العرب، وقد يبدو صعبًا على غيرهم، فيُفضَّل تجاوزه وعدم التطرّق له فيما يتعلّق بتعليم غير العرب.
4. ويُفَضّل وعدم التطرّق للتذييل والنصوص في آخر الكتاب فيما يتعلّق بتعليم غير العرب.
5. يُفضّل تجاوز المدخل والدخول مباشرة في فنون اقتران الألفاظ فيما يتعلّق بتعليم غير العرب.
6. يُفضّل أن يكون البدء بأمثلة صناعية في كلّ فنّ مبسّطة لتعليم غير العرب على نحو ما فعلنا في بعض الفنون.
7. يُفضّل أن يتمّ تحديد أسهل الأمثلة في كلّ فنّ بمعدّل ستة أمثلة وسطيًّا لتعليم غير العرب.
8. يُفضّل التركيز على أسئلة الاختبار الاستذكاريّة للعرب (تعريفات، وأنواع، وأمثلة...)، وأن تكون أسئلة اختبار غير العرب أسئلة تعبيرية (إنشاء جمل)، وأتمتة (اختيار من متعدّد، وصحيح وخاطئ، وملء فراغات...)، وقد ذيّلنا الكتاب ببعض النماذج وفقًا لذلك.
9. المدرّس هو قائد السفينة ورُبّانها، وهو أعلمُ كيف يوجّهها، وهذه الإرشادات ليست إلا للإعانة على التعليم وتيسير السبيل، وجُملة الأمر أنّ مستوى طلبة العلم هو ما يُحدِّد ما ينبغي وما لا ينبغي...

محتويات الكتاب

مقدّمة

بسم الله، والحمد لله. الحمد لله الذي علّم القرآن؛ خلق الإنسان؛ علّمه البيان، وميّزه عن سائر الحيْوان، فجعل له العقل والقلب واللسان، والصلاة والسلام على من اختير من ولد عدنان، ليكون سيّدًا خاتمًا أنبأت بمَقْدَمه سالفات الأديان، النبيِّ الأمّيّ العربيّ أفصح البشر وأرحمهم وأهداهم إلى صميم الإيمان، وعلى آله المقرَّبينَ وصحبه المُنتجَبينَ ومن سار على هديهم واتّبعهم بإحسان، وبعدُ:

فهذا الكتاب (علم البديع) هو ثاني سلسلة البلاغة العربية وتاريخها، وأوّل سلسة البلاغة التعليمية؛ جعلناه أوّلًا في التعليم، ولا سيّما لتعليم غير العرب، مُقدَّمًا على علمَي البيان والمعاني أخذًا بمبدأ التيسير والتدرّج التعليميّ إذ هو أبسط منهما، فما البلاغة التعليميّة؟ وما علمُ البديع وفنونه؟

نشأت البلاغة التعليميّة التي تقوم على التعريفات والتبويبات المُقدَّمة لغاية درسيّة على يد السكّاكيّ، وفيها دمجَ مشروعَي عبد القاهر وقدّمهما بصورة جديدة مختلفة طغت عليها الصبغة التعليميّة المدرسيّة، وهي التي ما زالت دارجة في التعليم إلى يومنا هذا في المدارس والجامعات.

جعلنا البلاغة التعليمية في ثلاثة علوم سيرًا على خطى السابقين، وكانت رؤيتنا أن نجعل علم البديع أولًا في كتاب مستقلّ هو هذا، ثمّ يليه كتاب آخر في علم البيان، ثمّ نختم البلاغة التعليمية بكتاب علم المعاني، كما جعلنا كلّ علم في مستويين نقدّم تنظيمًا وتبويبًا جديدَينِ انطلاقًا من حتمية ضرورة التّجديد، ومراعاةً للتسهيل والتدرّج في تلقّي تلك العلوم وتعلُّمها من المُتعلِّمين من العرب ومن غيرهم، ورأيت ذلك بعد تجريب تعليم المادّة العلمية وتلقينها وتعليمها لأهل العربيّة ولغيرهم مُددًا من الزمن مديدةً تكاد تبلغ العشر سنوات، ولعلّها أن تكون كفيلةً للإنضاج، وإن كنّا لا نُسلّم بأن للعلمِ غاية يقفُ عندها وينضج.

أمّا **علم البديع** الذي نحن بصدد التأليف له فنُعرّفه- بما ينبغي أن يكون عليه- بقولنا: هو **علم تحسين الكلام خدمةً للمعاني والمقاصد**، فهو إن لم يخدمها يرجع إلى ضربٍ من الهَذَر والتّكلّف الممجوج، وقد يتراوح بين التخديم والتهويم، وبين الطبع والتصنّع أو الصّنعة في كلام البشر، غير أنّه في كلام اللّٰه سبحانه لا يكون إلّا في خدمة المعاني والمقاصد، **وأقسامه** معلومة؛ إذ قسّمه البلاغيّون المتأخّرون في مصنّفات البلاغة التعليميّة إلى قسمين من الفنون أو المحسّنات أو الألوان: المحسّنات اللفظيّة؛ مثل: السجع والتصريع والجناس، والمحسّنات المعنويّة؛ مثل: الطباق والتورية وحُسن التعليل.

تربو فنون البديع على المئتينِ؛ سندرس بعضها باعتبار الأهميّة أو الإفادة العلميّة والجماليّة، فنضيف ونحذف، ونجمع ونشعّب وفق ذلك.

نرى أنّه يمكن أن نجعل فنون البديع في ثلاثة أقسامٍ أو مستوياتٍ يكون الأوّل والثّاني بعنوان (الاقتران)، وهو على ضربينِ: (**اقتران الألفاظ**)، و(**اقتران المعاني**)، والأخير هو (**التّغيير**)، والهدف هو التيسير والتنظيم كما أسلفنا.

أمّا **فنون المستوى[1] الأوّل (اقتران الألفاظ)**، فهي تلك التي يتحقّق فيها وصف البديع التحسينيّ البلاغيّ باقتران (اجتماع) ألفاظ أو كلمات في سياق تركيبيّ واحد، فيكون (الاقتران) هو سرُّ بلاغتها إضافةً إلى (التّضايف) الذي يحدّد مكان الكلمات بعضها من بعض من جهة: التضادّ (الطباق) أو التّماثل المعنويّ (التّرادف) أو التّشاكل اللفظيّ (الجناس) أو التّناسُب أو التّقارب (مُراعاةُ النّظير والتَّناسُب المجازيّ)، أو التّماسك (الجمع والتّفريق)، أو التّشاكل اللفظيّ والمعنويّ (التّكرار بأنواعه)، وبدا لنا أنّ هذه الفنون تتوشّح بالجمال باعتبار

[1] آثرنا استعمال مصطلح (مستوى) لأنّه يُناسبُ مجال التعليم المأخوذ من اصطلاحنا (البلاغة التعليمية) بعامّة، ويُناسبُ تعليم غير العرب بخاصّة.

اقترانها، وباعتبار علائقِ مفرداتها أو تضايفها، وأنّ قرب المُقترِنات كلّما كان أشدّ كان أكثر حُسنًا كما سيظهر في أثناء الحديث عن تلك الفنون، فتتحدّد بلاغة تلك الأشكال أو الفنون البديعيّة وفق ثلاثة اعتبارات هي: **الاقتران والتّضايف والاقتراب**

أمّا **المستوى الثّاني (اقتران المعاني)** فنتحدّثُ فيه عن الفنون التي تقرنُ بينَ معنيَينِ أو غرضَينِ ظاهرَينِ في سياقٍ واحدٍ، وهو يتألّف من ستّة فنونٍ هي: (**المدحُ بما يُشبِهُ الذّمَّ**)، وهو يقوم على اقتران المدح والذّمّ، ويُسمّى أيضًا الاستثناء، و(**الذّمُّ بما يُشبِهُ المدحَ**)، وهو يتأسّسُ على اقتران الذّمّ والمدح، ويُسمّى أيضًا التبكيت، و(**الهَزلُ الذي يُرادُ به الجِدُّ**)، وهو ينبني على اقتران الهَزل والجِدّ، ويُسمّى أيضًا التّهكّم، **والاستتباع**، وهو الذي يَستتبِعُ فيه المعنى أو الوصف معنى أو وصفًا آخر، **والإدماج**، وهو إدماج معنيَينِ أو وصفَينِ ، **والتّفريع**، وهو تفريع معنى من آخر، وكل ذلك على سبيل اقتران المعاني.

وأمّا المستوى الأخير (التّغيير)، فيتجلّى: في تغيير الضمير (**الالتفات والاستخدام**) بهدف **التّنبيه**، وفي تغيير الرأي أو المُعتقد (**حسن التّعليل والمبالغة وتجاهل العارف والمَذهب الكلاميّ**) ابتغاءَ **الإقناع**، وفي تغيير المقصد (**التّورية والتّوجيه والأسلوب الحكيم**) بغيةَ **التّمويه أو الإرشاد**، فنتوصّل إلى الحديث عن أنّ فنون البديع في مستوى اقتران الألفاظ يطغى عليها الطابع الأسلوبيّ البنيويّ الجماليّ، وأنّ الفنون في مستوى التغيير يطغى عليها الطابع الوظيفيّ التداوليّ، وأنّه في مستوى اقتران المعاني هو بينَ بينَ.

ونرى أن نقدّم بين يدي الحديث عن تلك المستويات الثلاثة مدخلًا في البلاغة وعلومها وفنونها. واللّهَ المُجيبَ أسأل أن يتقبّل هذا العمل وينفع به...

د. عامر خليل الجرّاح

ماردين غرّة رجب 1442 – **الموافق** 12 **شباط** 2021

مدخل

نقدّم في هذا المدخل إضاءات لمفهوم البلاغة التعليمية ونشأتها وتاريخها.
لقد بيّنا في الحَلْقة الأولى من سلسلة البلاغة العربية وتاريخها أي في كتابنا (البلاغة القديمة أسسها النقديّة وتمثّلاتها التداوليّة والأسلوبيّة) أنّ البحث في وجوه الإعجاز هو ما طرح السؤال عن ماهيّة البلاغة التي يظهر فيها الإعجاز، والتي يمكن أن تكون بلاغة أدب لكن على درجات متفاوتة لا تبلغ شأوَ بلاغة القرآن الكريم، وكان جواب عبد القاهر الجرجانيّ عن ذلك السؤال مختلفًا عن أجوبة الآخرين؛ إذ جعل بلاغة القرآن والبلاغة بعامّة في نظريته (النظم) بما هو توخّي معاني النحو المتّسقة مع مقاصد المُتكلّم والأغراض المُبتغاة، وجعل نظريته الأخرى (المعاني الثواني) داخلة في النظم، وذلك في كتابه (دلائل الإعجاز)، بيد أنّه تحدّث في كتابه الآخر (أسرار البلاغة) عن بلاغة الأدب بما هو وقوف على أبرز الفنون الأسلوبية على طريقة أسلافه، وخلفَ عبد القاهر عَلَمانِ حملا أفكاره، وأعادا تنظيمها على مستوى التنظير هما: الفخر الرّازيّ (606هـ) في كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)، والسكّاكيّ (626هـ) في (مفتاح العلوم)، كما خلفه على المستوى التطبيقيّ الزمخشريّ (538هـ) في تفسيره (الكشّاف)، فأمّا الرّازيّ فقد جعل كتابه في جملتَينِ: جملة خاصّة بالمفردات، وأخرى بالنظم، وأمّا السّكّاكيّ فجعل كتابه في عِلمَينِ: المعاني، والبيان، ثمّ ألحق بهما المحسّنات.

لأمرٍ ما اشتُهرتْ أعمال السكّاكيّ في البلاغة، مع وجود أعمال أخرى مختلفة معاصرة كعمل ابن الأثير (637هـ) في (المثل السائر)، أو قريبة كعمل القرطاجنّيّ (684هـ) في (منهاج البلغاء)، ويرى العمري في (البلاغة أصولها وامتداداتها) أنّ انكماش الفكر الفلسفيّ وهيمنة التقنينات النحوية، وأنّ قابلية مشروع السكّاكيّ للتجزيء خلافًا لمشروع حازم، كل ذلك كان وراء ذلك الاشتهار، فظهر من تبنّى أفكاره بالشرح والتلخيص وهما رجلانِ: بدر الدين بن

الناظم (686هـ) في (المصباح)، وهو الذي أفرد المحسّنات بعلم ثالث هو علم البديع، والقزوينيّ (739هـ) في (الإيضاح)، ثمّ ظهرت الشروح والحواشي والمطوّلات والمختصرات على كتاب القزوينيّ، فترسّمت منذ ذلك الحين إلى يومنا خطى البلاغة التعليمية المتمثّلة في الثلاثة العلوم: المعاني، والبيان، والبديع، غير أنّ تسويغ العمريّ لا ينطبق على مشروع ابن الأثير، ولا ننسى أنّ التلاميذ هم من يحافظ على إرث أساتذتهم، وهذا ما جعلَ المذاهب الفقهية الشهيرة أربعة، على سبيل المثال، في حين أنّ الأساتيذ أكثر من ذلك، لقد ظهر للسكّاكيّ تلاميذ أخلصوا لمشروعه، وإن لم يكونوا مباشرين، فأسهموا في بقاء إرثه متداولًا إلى يومنا، ويرى حاجي خليفة أنّ كتاب القزوينيّ كان يتُلقَّى بحسن التلقّي والقبول فطارت شهرته لذلك، وهو تعليل عامّ، ولعلّ تقسيم البلاغة إلى ثلاثة علوم وضبطها مصطلحاتٍ ومفاهيمَ، وكذلك ضبط فروعها، فغدت صرحًا مُتكاملًا كما يرى تمّام حسّان في (الأصول)، وقبل ذلك قيام أركانها على دعائم بلاغة عبد القاهر= كلّ ذلك أعطاها تلك الأهميّة وتلك الشهرة.

لقد تابعت المؤلفات الحديثة المُقلِّدة للبلاغة التعليمية تلك الخطى فلم تزد عليها شيئًا حتى إنّ الأمثلة ظلّت ذاتها تقريبًا، وكانت هناك محاولات في الحديث عن الجماليات أو كشف أسرار الجمال أو مخالفة بعض الآراء فيما يتعلّق بالموقف من بعض الفنون أو الشواهد، ولم نرَ محاولة أوغلت في الصميم، أمّا محاولات التجديد خارج دائرة البلاغة التعليمية كما في الدراسات الأسلوبيّة أو الحِجاجيّة فهذه لها شأن آخر؛ إذ لم تنطلق من روح اللغة العربية وملامسة مواطن الجمال على طريقة بلغاء اللغة الأقحاح وبلاغيّيها الأفذاذ، إنّما ارتهنت لرسوم أجنبية، وها نحن نمرّ في مسيرتنا التي بدأناها على مستوى النظرية؛ نقرأ البلاغة العربية وتاريخها لننتقل إلى مستوى إعادة البناء وإدلاء دلونا على بصيرة على ما نحسَب، ثم لنرسم طريقًا أسهل للمتعلّم وآنق للمتذوّق، فالطريق طويلة أمامنا نقطعها خطوة بخطوة بتيسير الله وتوفيقه.

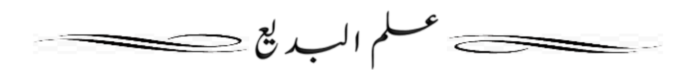
رأينا أن يكون عملنا في علم البديع ههنا عملًا فيه طرح جديد من جهة التقسيم والعرض- سنعمد إلى الأمر نفسه إن يسّر الله في علمَي البيان والمعاني- وهو ما وضّحناه في المقدّمة وسيظهر جليًّا في قراءة المستويات وفنونها، ونريد أن نمرّ على طريقة عرض البلاغيين المعلّمين للبلاغة وعلومها ههنا:

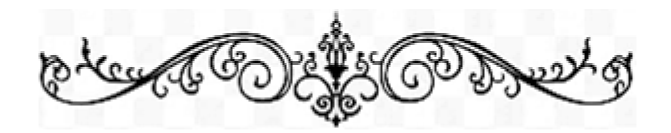
استهلّ البلاغيّون الحديث عن البلاغة مفهومًا وعلومًا بالكلام على الفصاحة بوصفها شرطاً للبلاغة وأنّها جزءٌ منها، إذ عرّفوا بلاغة الكلام بأنهّا في: (**مراعاته مقتضى الحال مع فصاحته**)، ولم يتحدّثوا عن مُقتضى الحال إلّا في باب علم المعاني، وأمّا الفصاحة فجعلوها وصفًا للمفردات والتراكيب، وتعلّقت بقضايا صوتية ذوقية نحو: مخارج الحروف وعددها وتجاورها وما شابه ذلك، غير أنّ المؤسّس الذي اقتدى به من اقتُديَ بهم في رسم ملامح البلاغة التعليمية؛ أي الجرجانيّ لم يحفِلْ بفصاحة المفردات على طريقة المُتأخّرين والتابعين إلّا باعتبار تآنسها مع أخواتها، وألّا تكون من العاميّ السّخيف، فلم يتحدّث عن مخارج الحروف أو عددها، والحقّ أن بين إيثار مصطلح البلاغة والفصاحة، أو اللفظ والمعنى كان للبعد العقديّ الكلاميّ أثر في ذلك، فالأشاعرة مالوا إلى مصطلح البلاغة، في حين أنّ المعتزلة آثروا مصطلح الفصاحة، وهذا أمر يتعلّق بمذهب كلّ فريق في بيان حقيقة كلام اللهِ أهو لفظ أم معنى، والمتأخّرون لم يقفوا على ذلك الأمر، بل ناقشوا أمر الفصاحة والبلاغة بعيدًا عن تلك الاعتقادات، فجعلوا الفصاحة سِمةَ الكلمة والكلام والمتكلّم، وجعلوا البلاغة نعتًا للكلام والمتكلِّم، وجاؤوا في شأن الفصاحة بشواهد تجرحها: فهل ذلك لتعلّم الاحتراز عمّا يباين الفصاحة؟ وهل كلُّ ما خالفها أو خالف أمثالها فصيح؟ أولا يوجد لها وجه من الفصاحة؟ والغريب أنّه كان من شواهد عدم الفصاحة ما جاء به أهل الفصاحة ومن تُقاسُ الفصاحة بكلامهم كامرئ القيس في قوله (مستشزرات) مثلًا، ثمّ هل الفصاحة تُقاس بمقاييس علميّة من دون اعتبار الزمن واللهجة والسياق، أو تُقاس

بمقاييس ذوقية والأذواق متفاوتة؟ ثمّ ألا يكون البحث عن مواطن الفصاحة وشواهد الحُسن أولى بالتقعيد لها كما كان الشأن في تقعيد البلاغة؟

أمّا في شأن مُقتضى الحال شطير الفصاحة في تحديد مفهوم البلاغة عند المتأخّرين، فإنّنا لم نشهد عنايةً به إلّا في علم المعاني، وما فتح الباب للحديث عنه في ذلك العلم هو حديث الجرجانيّ عن الفروق في الاستعمال، وتوخّي معاني النحو هو في الحقيقة توخٍّ لمقاصد المتكلّم التي يريد التعبير عنها، وتوافق الألفاظ مع تلك المقاصد، ولا أدري كيف تحوّل الأمر من مراعاة الحال الموجبة للكلام (مقام الكلام) إلى مراعاة حال المُخاطَب (مقام المُخاطَب) عند كثير من البلاغيين، ولعلّهم أن يكونوا رجعوا إلى صحيفة بشر بن المعتمر في تقرير ذلك.

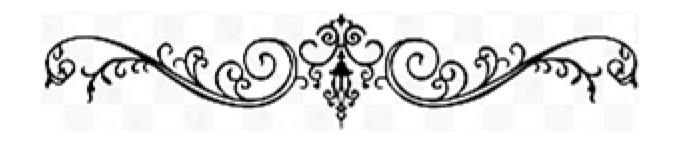
إنّنا نقف بإزاء الحديث عن مراعاة مقتضى الحال أمام بلاغة أخرى هي البلاغة التداوليّة التي يكون فيها عنصر الجمال ثانويًّا أو متحقِّقًا في مراعاة الخِطاب وظروفه بعيدًا عن جمال النصّ في ذاته، وهي غير بلاغة الجمال الأسلوبيّة التي تجعل المقام ثانويًّا وتصبّ اهتمامها في المقال أو النّص، أمّا البلاغة العُليا فهي التي تحفِلُ بالمقام والجمال معًا، وهذا ما سنختتم به سلسلتنا في البلاغة العربية وتاريخها إن يسّر الله، فنرى أنّ **"البلاغة علم يدرس الكلام الحسن الجميل المعبّر والمؤثّر"**. المعبّر بمراعاة المقام وشرف المعنى، والمؤثّر بالأخذ بيد أسباب الجمال من تخييل وتحسين، فهي بلاغة عِبارة وإشارة، وهذا ما سيكون تفصيله في علوم البلاغة وفنونها، فنتحرّى تيسير عرض العلوم وفنونها، وتقديم نماذج فنّيّة عالية، بهدف تقديم البلاغة العربية بصورة أنيقة بديعة، ومن ثَمَّ يكون الهدف الأسمى إنماء ذائقة المتلقّي وإغناء معارفه؛ المتلقّي الذي جعلناه نصب العين ونحن نكتب هذه الكلمات، والله الميسّر والموفّق.





المستوى الأوّل: اقتران الألفاظ

1. الجِناس
2. الطِّباق
3. التّرادف
4. التّناسب
5. الجمع والتّفريق
6. التّكرار



الفنّ الأوّل: الجِناس

الجناس يكون باقترانِ كلمتين مُتجانستَين (مُتشاكلتَينِ) في اللفظ لا في الرسْم، ومُختلفتَينِ في المعنى؛ مثل:

1. صلّيتُ صلاةَ المغرب في المغرب
2. حُبُّ الظُّهُور يَقْصِمُ الظُّهُور.
3. رأيتُ الناسَ قد مالوا إلى من عنده مالُ

- في المثال الأول: كلمة المغرب الأولى تعني وقت الصلاة، والمغرب الثانية تعني بلد المغرب.
- في المثال الثاني: كلمة الظهور الأولى تعني الشهرة، والظهور الثانية هي جمع ظَهْر؛ ظَهْر الإنسان.
- في المثال الثالث: كلمة مالوا الأولى تعني الميل، ومالُ الثانية تعني النقود.

والجناس قسمان:
- الجناس التامّ
- الجناس الناقص

1- الجِناس التامّ

يكون الجناس التامّ بين:

1. كلمة وكلمة
(حبّ الظُّهُور يقصم الظُّهُور).
2. كلمة وكلمتين
(لَسْتَ تَاجَ العَارِفِينا أنتَ تَاجُ العارِ فِينا).

3. كلمتين وكلمتين

إلى حَتْفي سَعَى قَدَمِي أَرى قَدَمِي أَراقَ دَمِي

القاعدة:

- الجناس البديع هو أن تقترن (تجتمع) كلماتانِ في جملة واحدة وتكونانِ متشاكلتَينِ في اللفظ مختلفتَينِ في المعنى.
- الجناس نوعانِ: جناس تامّ وجناس ناقص.
- الجناس التامّ ثلاثة أشكال: يكون بين كلمة وكلمة، وبين كلمة وكلمتين، وبين كلمتين وكلمتين

أمثلة من القرآن الكريم:

1. قال تعالى: {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ} [سورة الروم 55].
2. قال تعالى: {يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ} [النُّور 43، 44].
3. قال تعالى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ} [النّساء 108].
4. قال تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ* مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ* وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} [النَّجم1-4].

- في الآية الأولى: الساعة الأولى تعني يوم القيامة، والثانية تعني ساعة زمنية واحدة.
- في الآية الثانية: الأبصار الأولى تعني بصر العين، والثانية تعني بصيرة القلب.

- في الآية الثالثة: يستخفون الأولى تعني يختبئون (الخفاء)، والثانية تعني يستحيون (الحياء). لأن الإنسان لا يستطيع أن يختبئ من الله.
- في الرابعة: هوى الأولى تعني سقط، والثانية: هوى النفس.

أمثلة من غير القرآن الكريم:

1. كم من ملك رُفعت له علامات، فلمّا علا مات
2. قبورنا تـُبنى ونحن ما تـُبنا   يا ليتنا تـُبنا من قبل أن تـُبنى.
3. نَاظِرَاهُ فِيمَا جَنَى نَاظِرَاهُ   أَوْ دَعَانِي أَمُتْ بِمَا أَوْدعَاني
4. دعاني من مَلامِكما سَفَاها   فداعي الشَّوقِ قبلَكما دعاني
5. إذا ملكٌ لم يكنْ ذا هِبةْ   فدعْه فدَولتُهُ ذاهبةْ
6. عضَّنا الدَّهرُ بنابِهْ   ليتَ ما حلَّ بِنا بِهْ
   لا يُوَالي الدَّهْر إلاَّ   خَامِلاً لَيْسَ بِنَابِهْ
7. يا من يُضيّعُ عمرَه في اللهو أمْسِكْ   واعلمْ بأنكَ ذاهبٌ كذهاب أمسِكْ.
8. رأيتُ الناسَ قد مالوا   إلى مَن عنـده مالُ
   ومَن ما عنـده مالُ   فعنه الناسُ قد مالوا
9. رأيتُ الناسَ قد ذهبوا   إلى مَن عنده ذهبُ
   ومَن ما عنـده ذهبُ   فعنه الناسُ قد ذهبوا.
10. طَرَقتُ البَابَ حتّى كَلَّ مَتْني   فَلَمَّا كَلَّمَتْني كَلَّ مَتْني
    فقالت لي: أَيَا اسْمَاعِيْلُ صَبْرًا   فقُلتُ لها: أيا اسْما عِيْلَ صبري.
11. مَا مَاتَ مِنْ كَرَمِ الزَّمَانِ فإنَّهُ   يَحْيَا لَدَى يَحْيَى بْنِ عَبْدِ الله
12. يا مَن تَدُلُّ بِوَجْنةٍ   وأناملٍ مِن عَنْدَمِ
    كفَى جُعِلْتُ لكَ الفِدا   ألحاظَ عينِكَ عَن دَمِي
13. لا تَعْرِضَنَّ على الرُّوَاةِ قَصِيدَةً   ما لَمْ تُبَالِغْ قَبْلُ في تَهْذِيبَها
    فمتى عَرَضْتَ الشِّعْرَ غَيْرَ مُهَذَّبٍ   عَدُّوهُ مِنْكَ وَسَاوِساً تَهْذِي بها

أسئلة تمرينات

1. أضعُ خطًّا تحت الكلمات المتجانسة في الجمل السابقة.
2. أختارُ الإجابة الصحيحة

- في القول: كم من ملك رُفعت له علامات، فلمّا علا مات، الجناس التامّ بين:

A-كلمة وكلمة	B-كلمة وكلمتين	C-كلمتين وكلمتين	D-كلمتين وثلاث كلمات

- في البيت: قبورنا تـُبنى ونحن ما تـُبنا   يا ليتنا تـُبنا من قبل أن تـُبنى.

الجناس التامّ بين:

A-كلمة وكلمة	B-كلمة وكلمتين	C-كلمتين وكلمتين	D-كلمتين وثلاث كلمات

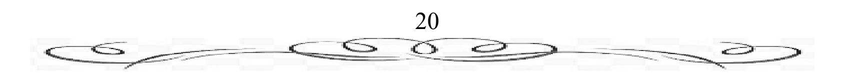
3. أُنشِئُ من الكلماتِ الآتيةِ جُملًا فيها تجنيس تامّ:

- عَصْر: (الوقت، وعصر البرتقال مثلًا)..................
- عَيْن: (عين الرأس، والنبع)............................
- بَيْت: (المنزل، وبيت الشِّعْر)...........................

2- الجِناس النّاقص

يكونُ الجناسُ ناقصًا حين يختلفُ اللفظُ قليلًا بحيث يمكنُ لحظُ التجانس، والاختلافُ يكونُ في: نوعِ حرفٍ، أو في حركةٍ، أو في العددِ، أو في الترتيبِ

1. قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة22-23].
2. أشرق النُّورُ فتفتّحَ النَّورُ.
3. اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي.
4. ألمُ النوى كالنوائب.



في الأمثلة السابقة يوجد اختلاف بسيط في لفظ الكلمات المتجانسة:

- في المثال الأول الاختلاف في نوع الحرف بين الضّاد ناضرة (مشرقة)، والظاء ناظرة (من نظر العين).

- في المثال الثاني الاختلاف في حركة حرف النون بين الضمّة النُّور (الضوء)، والفتحة النَّور (الأزهار).

- في المثال الثالث الاختلاف في ترتيب حرفَيْ الراء والعين. العورات (الذنوب)، الروعات (الخوف).

- في المثال الرابع الاختلاف في عدد الحروف بين ثلاثة: النوى(البعد)، وخمسة: النوائب (المصائب).

القاعدة: الجناس الناقص البديع هو أن تتجانس كلمتان مع وجود فرق بسيط بينهما في حركة الحروف، أو نوعها، أو ترتيبها، أو عددها.

الأمثلة من القرآن الكريم

في القرآن الكريم أمثلة كثيرة عن الجناس الناقص، ولا سيّما المختلف في نوع الحرف. نذكر منها:

1. {فأَمَّا اليتيمَ فلا تَقهَرْ. وأَمَّا السائلَ فلا تَنهَرْ} [الضحى: 9-10].
2. {وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ} [الأنعام: 26].
3. {وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ} [الهمزة:1].
4. {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف: 104]
5. {فَلَا أُقْسِمُ بِالخُنَّسِ* الْجَوَارِ الكُنَّسِ} [التكوير:15-16]

6. {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ* مِن شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق:1-2]
7. {مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ* الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ} [الناس:4-5]
8. {وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ* إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة:29-30]

أمثلة من غير القرآن

1- قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ)
2- الهوى مَطيّةُ الهوان
3- رحمَ الله من كَفَّ فكّيه ، وفَكَّ كفّيه.
4- يا لَلْغُرُوبِ وَمَا بِهِ مِنْ عَبْرَةٍ   لِلمُسْتَهَامِ وَعِبْرَةٍ لِلرَّائي.
5- جُبّةُ البُرْدِ جُنّةُ البَرْدِ. (جُنّة- دِرع)
6- فيالكَ من حَزمٍ وعَزمٍ طواهما   جَديدُ الثَّرى تحت الصفا والصفائح
7- سَاقٍ يُرِيني قَلْبُهُ قَسْوَةً   وَكُلُّ سَاقٍ قَلْبُهُ قَاسي
8- وَكُنَّا مَتَى يَغْزُ النَّبِيُّ قَبِيلَةً   نَصِلْ جَانِبَيْهِ بالْقَنَا والْقَنَابِلِ
9- شَواجِرُ أرماحٍ تُقطّعُ بينَهُمْ   شَواجِرَ أرحامٍ ملومٌ قَطُوعُها
10- وتَحملُ النّاقةُ الأدْماءُ مُعتَجِرًا بالبُرْدِ كالبَدْرِ جَلَّى ليلةَ الظُّلَمِ (أدماء- بيضاء)
11- يَمُدُّونَ مِن أيدٍ عَواصٍ عَواصِمٍ   تَصولُ بأسيافٍ قَواضٍ قَواضِبِ
12- ممنَّعةٌ منعَّمةٌ رداحٌ   يُكلِّفُ لفظُها الطَّيرَ الوُقوعا (رداح- ثقيلة الأمتعة)
13- يردُّ يدًا عن ثوبِها وهْوَ قادرٌ   ويعصي الهوى في طيفِها وهْوَ راقدُ
14- حُسامُكَ فيهِ للأحبابِ فتحٌ   ورُمحُكَ فيهِ للأعداءِ حَتْفُ
15- أَلِمَا فاتَ مِن تَلاقٍ تَلافٍ   أمْ لشاكٍ مِن الصَّبَابة شَافٍ؟
16- والحُسْنُ يَظْهَرُ في بَيْتَيْنِ رَوْنَقُهُ   بَيْتٍ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعَر

أسئلة التمرينات

1. أحدّدُ الكلمات المتجانسة في الأمثلة السابقة.
2. أختارُ الإجابة الصحيحة

- في الحديث: (الخيلُ معقودٌ في نواصيها الخيرُ)، الجناس الناقص سببه اختلاف الكلمتين في:

A الحركة	B النوع	C الترتيب	D العدد

- في القول: (الهوى مطيّة الهوان)، الجناس الناقص سببه اختلاف الكلمتين في:

A الحركة	B النوع	C الترتيب	D العدد

- في القول: (رحمَ الله من كَفَّ فكّيه ، وفَكَّ كفّيه)، الجناس الناقص سببه اختلاف الكلمتين في:

A الحركة	B النوع	C الترتيب	D العدد

4. أُنشِئُ من الكلماتِ الآتيةِ جُملًا فيها تجنيس ناقص:

– سُورة: ....

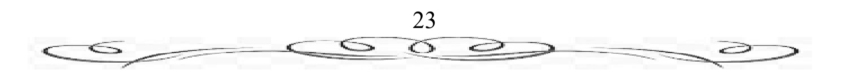
– جَمال: ....

– عَمَل: ....

مُناقشة

الجِناس أو التجنيس من الفنون اللفظية، وكان في مقدّمة الفنون التي اعتنى بها البديعيّون والبلاغيّون من لدن ابن المعتزّ إلى عبد القاهر ثمّ السكّاكيّ وتابعيه، وأشاد نفرٌ غير قليل بأهمية الجِناس الفنية، في حين نفرَ نفرٌ آخر منه، فوضعوا لحسنه شروطًا أهمُّها:

– **الخلوّ من التكلّف**



– **عدم الإكثار منه**

– **الإفادة**

فيجب أن يوظّف التجنيس فيُكسِب قيمته التحسينية الإمتاعيّة حسنًا إضافيًّا نفعيًّا يتمثّل في **نصرة المعنى** كما يقول عبد القاهر الجرجانيّ، وهذا ما قصدناه حين اشترطنا للبديع أن يكون في خدمة المقاصد والمعاني والأغراض.

وإنّي رأيتُ القومَ بالغوا في تفريعه وتشعيبه إلى حدٍّ أدخله في باب التفلسف والتمنطق، وليس وراء ذلك كبير طائل، فرأيتُ أن أكتفي بما ينفعُ الطالب، فأوجزتُ وأقللتُ من ذكر المصطلحات بما فيه زاد وكفاية.

من الجِناس ما يكون خفيًّا وجميلًا، وهو الجناس الذي يرجع إلى ما يشبه الاشتقاق من حيث وحدة الجذر أو تقاربه، ويمكن أن نسمّيه **الجِناس الخَفيّ**، وسمّوه قديمًا **الجِناس المُطلق**، والحقّ أنّه اكتسب جماله من تحقيقه الشروط السابقة فضلًا عن خفائه، وله شواهد كثيرة نذكر منها من القرآن، ثمّ من الشِّعر:

- {وجَنَى الجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن54]، {ليُريَهُ كيْفَ يُوَارِي} [المائدة31]، {وإنْ يُرِدْكَ بخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لَهُ} [يونس107]، {أثَّاقَلتُم إلى الأَرْضِ أرَضيتُمْ بالحَيَاةِ الدُّنْيا} [التوبة38]، {وَإِذَا أنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَان أعْرَضَ ونَأَى بِجَانِبِه، وإِذا مَسَّهُ الشَّرُّ فذُوْ دُعَاءٍ عَرِيْضٍ} [فصلت51]، {فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ القَيِّم} [الرّوم43]، {قَالَ إِنّي لِعَمَلِكُمْ مِّنَ القَالِيْنَ} [الشّعراء 168]...

– وَكَم في الغَيب مِن تَيسيرِ عسرٍ ... وَمن تفريجِ نائبةٍ تنوبُ

فَيا ديَّانَ يومِ الدِّينِ فرِّج ... همومًا في الفؤادِ لها دَبيبُ

وَعدِّ النائباتِ إلى عَدوّي ... فإنَّ النائباتِ لها نيوبُ

وَراعِ حِمايتي وَتولَّ نَصري وَشُدَّ عُرايَ إن عرتِ الخطوبُ

وَقلْ عبدُ الرَّحيم ومن يَليهِ لهم في ريفِ رأفتِنا نَصيبُ

- لَولاَ الهَوَى لَمْ تُرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ ولا أَرِقْتَ لِذِكْرِ البَانِ والعَلَمِ

يا لائِمِي في الهَوَى العُذْرِيّ مَعْذِرَةً مِنّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ

وتولّد من اعتبار الجِناس الناقص بنوع الحرف لعبةٌ لغويّةٌ شعريّةٌ تتمثّل بذِكْر الكلمة، ثمّ ذِكْر إبدال حرفٍ فيها، وقد يُسمّى **(جِناس الإشارة)**؛ مثل:

- فإذا سئِمْتَ من الوجودِ لبُرْهةٍ فاجعَلْ مِن (الواوِ) الكئيبةِ سِينًا

وإذا تعِبْتَ مِنَ الصُّعودِ لقِمّةٍ فاجعَلْ من (العَينِ) البئيسةِ ميمًا

فكأنّه ذكَرَ في البيت الأوّل: الوجود والسّجود، وفي الآخر: الصّعود والصّمود، وبراعة هذا الفنّ تكمن في الذِّكر حيثُ لم يكن ذِكْرٌ، ومن ذلك أيضًا:

- أيا ذا الفضائلِ واللّامُ حاءٌ ويا ذا المكارِمِ والميمُ هاءُ

ويا أنجبَ النّاسِ والباءُ سينٌ ويا ذا الصّيانةِ والصّادُ خاءُ

ويا أكتبَ النّاسِ والتّاءُ ذالٌ ويا أعلمَ النّاسَ والعينُ ظاءُ

تجودُ على الكلِّ والدّالُ راءٌ فأنتَ السَّخِيُّ ويتلوهُ فاءُ

فكأنّه ذكَرَ الفضائل والفضائح، والمكارم والمكاره، وأنجب وأنجس، والصّيانة والخيانة، وأكتب وأكذب، وأعلم وأظلم، وتجود وتجور، والسّخيّ والسّخيف، وهذا الأخير من قبيل الجِناس الناقص بعدد الحروف، وكلّ ما سبقَ ناقص بنوع الحروف.

الفنّ الثّاني: الطِّباق

الطِّباق أو التضادّ يكون باقتران كلمة أو أكثر مع ضدّها، مثل:
أحبُّ الصدقَ، وأكرهُ الكذبَ. كلمة (أحبُّ) ضدّها كلمة (أكرهُ)، وكلمة (الصدق) ضدّها كلمة (الكذب)، ولا يُشتَرَطُ فيه أن تكونَ الكلماتُ المُتقابِلَةُ مُتَّحِدَةً في النوع، فيمكن أن تكون إحداهُما اسمًا والأخرى فِعلًا.

والطِّباق نوعان: ← **طباق إيجاب**
↙ **طباق سلب**

1- **طِباق إيجاب:** يكون بين كلمتين متضادّتين في المعنى مثل: الصدق والكذب.

2- **طِباق سلب (نفي):** يكون بين كلمتين متضادّتين في المعنى بنفي إحداهما فيدخل حرف نفي على كلمة مكرّرة مرتين مثل: صادق وليس صادقًا، أو ذهب ولم يذهب...

1- طِباق الإيجاب

طباق الإيجاب يكون بين:

كلمة وكلمة

1. {جاء الحقُّ، وزهقَ الباطلُ}.

كلمتين وكلمتين

2. العلمُ نورٌ، والجهلُ ظلامٌ.

ثلاثة وثلاثة

3. نورُ الإيمان منجاةٌ، وظلامُ الكفر مَهلَكةٌ.

أربعة وأربعة

4. {فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (10)}

وأكثر من ذلك...

2- طِباق السّلب (النفي)

طِباق السلب يكون باستخدام أداة نفي مع الكلمة نفسها، ويكون بين:

كلمة وكلمة

1- أحبُّ الصدقَ، ولا أحبُّ الكذب.

وأدوات النفي المشهورة هي: (**ما ، لا ، لم ، لن ، ليس، غير**)

القاعدة:

- الطِباق يكون بين كلمة أو أكثر مع ضدّها.
- والطّباق نوعان:

3- طِباق إيجاب: يكون بين كلمتين متضادّتين في المعنى مثل: الصدق والكذب.

4- طِباق سلب (نفي): يكون بين كلمتين متضادّتين في المعنى عن طريق أداة نفي تدخل على كلمة مكرّرة مرتين.

- أدوات النفي المشهورة هي:

(ما ، لا ، لم ، لن ، ليس ، غير)

أمثلة للتمرين:

1- طِباق الإيجاب

1. قال تعالى: {وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ اليَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ} [الكهف18]
2. قال تعالى: {وَقُلْ جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ البَاطِلُ إِنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا} [الإسراء81]
3. قال تعالى: {وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} [النجم43،44]
4. قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ. فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ. وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ. فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ} [القارعة 6-9].
5. {قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ المُلْكِ تُؤْتِي المُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ المُلْكَ مِمَّنْ تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ الخَيْرُ إِنَّكَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * تُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَتُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيّتِ وَتُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [آل عمران26،27] .
6. قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلبَكَيْتُمْ كَثِيرًا).
7. وقال النبيّ عليه الصلاة والسلام للأنصار: (إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ).
8. وقيل في تعريف البلاغة: (البلاغةُ إجاعةُ اللّفظِ وإشباعُ المعنى).
9. *[*] هل تسألون عن الوداد فإنّنا ضدّان إنّي قد حفظتُ وضيّعا
10. أغيبُ وذو اللطائفِ لا يغيبُ وأرجوهُ رجاءً لا يخيبُ
11. لاَ تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ... ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى
12. فتَىً تَمَّ فِيهِ مَا يَسُرُّ صَدِيقَهُ ... على أنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الأَعَادِيَا
13. * أنتمْ حَلَلْتُمْ عندَ قَفراءِ النُّهى وأنزَتُمُ في ليليَ المعتومِ

[*] الأبيات التي تبدأ بالنّجمة للمؤلّف.

وتَفَتَّحَتْ تلكَ البلاقِعُ زَهرةً أيقظْتُمُ الكلماتِ من تَنويمِ

14. أزُورهُمْ وَسَوادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لي وَأَنْثَنِي وَبيَاضُ الصّبْح يُغْرِي بِي

15. *أنا المُشتّتُ والأشواقُ تجمعُني ما أدفأَ الحرفَ والأشعارَ والكهفا

بعضُ الكلامِ جليدٌ في تبلُّدِهِ بعضٌ كنارِ كليمِ الله يُستقفى

16. إذا نحن سِرْنا بينَ شَرقٍ ومَغربٍ تَحرَّكَ يقظانُ التّرابِ ونائِمُهْ

2- طِباق السلب

1. قال تعالى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ} [الزمر9].
2. قال تعالى: {لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا} [الفرقان14].
3. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [البقرة6].
4. قال تعالى: {فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا} [الإسراء23].
5. أغيبُ وذو اللطائفِ لا يغيبُ وأرجوهُ رجاءً لا يخيبُ.
6. خُلقوا وما خُلقوا لمكرمةٍ فكأنَّهم خُلقوا وما خُلقوا.

رُزِقوا وما رُزِقوا سماحَ يدٍ فكأنَّهم رُزِقوا وما رُزِقوا.

7. ليْسَ الغَريبُ غَريبَ الشَّامِ واليمن إنَّ الغَريبَ غَريبُ اللَّحدِ والكَفَنِ
8. وَنُنكِرُ إِن شِئْنا عَلى الناسِ قَولَهُم وَلا يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ
9. والصَّارمُ المَصقولُ أحسنُ حَالةً يومَ الوغَى مِن صارمٍ لم يُصقَلِ
10. لا جزى اللَّهُ دمعَ عَينيَ خَيرًا وجزى اللَّهُ كلَّ خيرٍ لساني

نمَّ دمعي فليسَ يكتمُ شيئًا ورأيْتُ اللسانَ ذا كتمانِ

11. مولاي قد نامتْ عيونْ وتيقّظتْ أيضًا عيونْ

نامتْ عيونُ الخائنينْ وعينُ نجمِكَ لا تخونْ

أسئلة التمرينات

1. أحدّدُ الكلمات المتطابقة في أمثلة التمرين السابقة.
2. أختارُ الإجابة الصحيحة

– في الآية: { وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا} نوع الفنّ البديعيّ:

A جناس تامّ	B جناس ناقص	C طباق سلب	D طباق إيجاب

– في البيت: وَنُنكِرُ إِن شِئْنا عَلى الناسِ قَولَهُم وَلا يُنكِرونَ القَولَ حينَ نَقولُ

نوع الفنّ البديعيّ:

A جناس تامّ	B جناس ناقص	C طباق سلب	D طباق إيجاب

3. أكتبُ مثالًا على طِباق الإيجاب، وآخر على طِباق السلب

- ....
- ....

4. أوظِّفُ كلمة العلم في بناءِ مثالٍ لطِباق الإيجاب، وآخر لطِباق السلب

- ....
- ....



أطلقَ البلاغيّون على الطِّباق المُتعدِّد اسم المقابلة، ومن تأصيلاتهم المُهمّة في باب الطِّباق ذكر وجوه تقابل المعاني، فالمُتلقّي قد يَحار في المتقابلات المتطابقات بسبب اختلاف وجوهها، ورأينا أن نعرض لتلك الوجوه دفعًا للحَيرة، فهي كالآتي:

(1) تقابل التناقض: كالوجود والعدم، والإيجاب والسلب...

(2) تقابل التضادّ: كالأسود والأبيض، والقيام والقعود...

(3) تقابل التضايُف: كالأب والابن، والأكبر والأصغر...

ففي التناقض ينقضُ معنى أولى الكلمتَينِ معنى الأخرى، وليس ذلكَ في التضادّ، بمعنى أنّ المُتناقضات أشدّ طباقًا، وقيل: إنّ المُتناقضات لا تجتمع وصفًا لموصوفٍ واحدٍ، وفي التضايف يكون تقابل إحدى الكلمتين مع الأخرى إذا أُضيفت إليها، أو نقول: بالنسبة لها، فالصغير صغيرٌ بالنسبة إلى الكبير وهكذا.

تكمن جماليّة الطِّباق في ما يُسمّى (أُفُق التّوقّع) أو الإرصاد أي إدراك الذهنِ حضور المعنى المُقابل الآخِر حين يحضُرُ الأوّل، لأنّ المُتقابلاتِ أقربُ تخاطرًا إلى الأذهان من المُتشابهاتِ والمُتخالفاتِ.

وثمّة نوع من الطِباق هو الخفيّ الذي نُسمّيه **الاستضداد**، وهو ما نُعرّفُه بقولنا: **الاستضداد أنْ تُستعمل الكلمةُ بمعنى ضدّها**، وهو على صيغة استفعل التي تأتي للتحويل؛ مثل: استنوق الجمل؛ أي أن تتحوَّلَ الكلمة إلى معنى ضدّها، ونشير إلى أنّ ذلك مُستعمَل في القرآن الكريم، ومن أمثلته:

- (**وراء بمعنى أمام**){وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف79]، و{وَيَذَرُونَ وَراءَهُمْ يَوْماً ثَقِيلًا} [الإنسان27]، و{مِنْ وَرائِهِمْ جَهَنَّمُ} [الجاثية10]... أي أمامهم. وفي الشِّعر:
- أَيَرْجُو بَنُو مَرْوانَ سَمْعي وطاعَتي   وقَوْمِي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرائيا؟
- أَليسَ وَرائي إِنْ تَراخَتْ مَنِيَّتي   لزُومُ العَصا تُثْنى عَلَيْهَا الأَصابِعُ؟
- ليسَ عَلَى طُولِ الحَياةِ نَدَم   ومِنْ وراءِ المَرْءِ مَا يَعْلَم
- (**الظنّ بمعنى اليقين**) {فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف53]، و{وَظَنُّوا أَنْ لا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ} [التوبة118]....
- (**النّفي بمعنى الإثبات**) {وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ} [البقرة184] أي لا يطيقونه، و{لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد1] أي: أقسمُ، و{مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ} [الأعراف12] أي: أن تسجدَ...وغير ذلك...

الفنّ الثّالث: التَّرادف

يكون باقتران كلمتين بنفس المعنى؛ مثل: وجه ليلى جميلٌ حسنٌ.

الأمثلة:

1- حاتمٌ يتّصفُ بالجودِ والسخاءِ والكرمِ والبذلِ.
2- رأيتُ الشيءَ، وأبصرتُهُ، وعاينتُهُ، وشاهدتُهُ.
3- لم أركَ منذُ عامٍ أو سنةٍ أو حَوْلٍ أو حِجّةٍ.
4- وجدتُ فلانًا مسرورًا سعيدًا فَرِحًا جَذِلًا مُستبشرًا.
5- أشعرُ بالحزنِ والغمّ والأسى والكآبةِ والأسفِ والجزعِ.

- في الجملة الأولى (الجودِ والسخاءِ والكرمِ والبذلِ) كلمات مترادفة بنفس المعنى
- في الجملة الثانية (رأيتُ، وأبصرتُ، وعاينتُ، وشاهدتُ) كلمات مترادفة بنفس المعنى
- في الجملة الثالثة (عامٍ أو سنةٍ أو حَوْلٍ أو حِجّةٍ) كلمات مترادفة بنفس المعنى
- في الجملة الرابعة (مسرور، وسعيد، وفَرِح، وجَذِل، مُستبشر) كلمات مترادفة بنفس المعنى
- في الجملة الخامسة (الحزن، والغمّ، والأسى، والكآبة، والأسف، والجزع) كلمات مترادفة بنفس المعنى

نُلاحِظُ: أنّ معنى الكرم في المثال الأوّل، ومعنى الرؤية في المثال الثاني، ومعنى العام في الثالث، ومعنى السرور في الرابع، ومعنى الحُزْن في الأخير= نُلاحِظُ أنّ تلك المعاني قد تأكّدت بذكر المُترادفات، لأنّ التعبيرَ عن المعنى الواحد بألفاظٍ عديدةٍ يقوّيه ويؤكّده.

القاعدة:

- التّرادف البديع يكون بين كلمتين أو أكثر تدلّان على معنى واحد
- التّرادف من أساليب تقوية المعنى وتوكيده

أمثلة للتمرين من القرآن الكريم

- {ومَا الحَيَاةُ الدُّنيَا إلاّ لَعِبٌ ولَهْوٌ} [الأنعام32].

- {ويَخشَوْنَ ربَّهمْ ويَخَافوْنَ سُوْءَ الحِسَاْبِ} [الرعد 21].

- {إنَّهم كَانوا أَظْلمَ وأَطغَى} [النجم 52].

- {ألم يَعلَموا أنَّ الله يَعلَمُ سِرَّهم ونَجوَاهُم} [التوبة78].

- {تَدْعُو مَنْ أَدبرَ وتَولَّى} [المعارج 17].

- {وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوْسٌ قَنُوْطٌ} [فصّلت49].

- {وجَمَعَ فأَوْعَى} [المعارج 18].

- {إنَّمَا أَشْكُو بَثّي وحُزْني إلى الله} [يوسف86].

- {اليَوْمَ أكمَلْتُ لَكُمْ دينَكمْ وأَتمَمتُ عَليكُمْ نعْمَتِي} [المائدة3].

- {مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ ومَا غَوَى} [النجم 2].

- {وَالله لا يُحِبُّ كلَّ مُخْتَاْلٍ فَخوْر} [الحديد 23].

- {وَبَدَا بَيْنَنَا وبَيْنَكُمْ العَدَاوَةُ والبَغضَاءُ أَبَدًا} [الممتحنة 4].

- {لِكُلٍّ جَعَلنا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمنهَاجًا} [المائدة 48].

- {ثُمَّ عَبَسَ و بَسَرَ} [المدّثر 22].

- {فَتَابَ عَلَيكُمْ وعَفَا عَنكُمْ} [البقرة 187].

- {لَا تَأخُذُهُ سِنَةٌ ولا نَومٌ} [البقرة 255].

مُلاحظة : في القرآن الكريم الكلمة الثانية من المترادفات تكون أقوى في المعنى من الأولى غالبًا، وذلك لأداء وظيفة التوكيد.

أمثلة للتمرين من الشِّعر

- ألا حَبْذَا هِنْدٌ وأرْضٌ بِها هِنْدٌ وهِنْدٌ أتى مِنْ دونِها النَّأيُ والبُعْدُ
- وأنتِ قُرّةُ عيني إنْ نَوًى نزحـتْ ومُنيتي وإليكِ الشَّوقُ والطَرَبُ
- فلو لم تكنْ في مِصرَ ما سِرْتُ نحوها بقلبِ المَشوقِ المُستهامِ المُتيَّمِ
- بَكيتُ عَلى الشَبابِ بِدَمعِ عَيني فَلَم يُغنِ البُكاءُ وَلا النَحيبُ
- وَسَفيهَةٍ هَبَّت عَلَيَّ بِسُحرَةٍ جَهلاً تَلُومُ عَلى الثَواءِ وَتَعذِلُ
- عَلى مُكثِريهِم رِزقُ مَن يَعتَريهِمُ وَعِندَ المُقِلّينَ السَماحَةُ وَالبَذلُ
- إنّي كَفاني أَن أُعالِجَ رِحلَةً عُمَرٌ وَنَبوَةَ مَن يَضِنُّ وَيَبخَلُ

أسئلة التمرينات

1. أحدّدُ الكلمات المترادفة في أمثلة التمرين السابقة.
2. أختارُ الإجابة الصحيحة

– في الآية: {ثُمَّ عَبَسَ و بَسَرَ} نوع الفنّ البديعيّ:

A جناس	B ترادف	C طباق سلب	D طباق إيجاب

– في البيت: إِنّي كَفاني أَن أُعالِجَ رِحلَةً   عُمَرٌ وَنَبوَةَ مَن يَضنُّ وَيَبخَلُ

نوع الفنّ البديعيّ:

A ترادف	B جناس ناقص	C طباق سلب	D طباق إيجاب

3. أكتبُ مثالًا على التّرادف أحفظه ، وآخر من عندي

– ....

– ....

4. أوظِّفُ كلمة البخل في بناءِ مثالٍ للترادف، وكذلك الكرم

– ....

– ....

مُناقشة

لم يدخل التّرادف عند البلاغيين والبديعيين في فنون البديع على ما أعلم، وهو ذو قيمة فنّيّة عليا بما يسهم فيه من **توكيد المعنى وتقويته** ذلك أنّه يقوم على ذِكرِ كلماتٍ تلتقي في المعنى وتختلف في درجة الدلالة عليه، ولا شكّ أنّ التعبير عن المعنى بذكر كلمات تحتوي على تفاصيله ودرجاته أوكد له، ففي قوله تعالى على سبيل المثال: {وإنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوْسٌ قَنُوْطٌ} كان التعبير عن شدّة اليأس بـ (يَؤُوْسٌ): الشعور بفقدان الأمل، و(قَنُوْطٌ): الجزم بانعدام الأمل.

يدخل الترادف في باب آخر غير **توكيد المعنى وتقويته** هو باب **الإحاطة بالمعنى**، وهو قريب من الأوّل، وهو غيره، بل هو سبب له، بمعنى أن الإحاطة بالمعنى تُفضي إلى توكيده وتقويته، ويظهر أنّ الترادف في القرآن الكريم يدخل في ذلك؛ إذ تكون الكلمة المُتأخّرة أشدَّ دلالةً من المتقدّمة، ومُكمِّلَةً لمعناها، وبذلك يتحقّق معنى التقويّة والتوكيد والإحاطة فيها، والكشف عن تلك المعاني مُتَحَصَّلٌ من اقتران المترادفات وتضايفها، وارتفاع درجة الآخِرِ على الأوّل من سُنن العربية وأساليبها كما في التشبيه والتوكيد والمقارنة وغير ذلك.

الفنّ الرّابع: التّناسُب

يكون باقتران كلمتين مُتناظرَتَينِ مُتناسِبَتَينِ في المعنى تستدعي إحداهُما الأخرى بلا ترادف ولا طِباق مثل: الشَّمْسُ، والقَمَرُ. فذِكْرُ الشّمْسِ استدعى ذِكْرَ القَمَرِ لتناسبهما، ويدخل في هذا الفنّ نوعان:

- التناسب بغير مجاز (مُراعاةُ النّظير) كقولكَ: الشّمسُ والقمرُ من آياتِ الله.
- التناسب المجازيّ كقولكَ: الشّمسُ والقمرُ يحسدانِ وجهَكِ وشَعرَكِ.

التّناسب نوعان ← **مُراعاةُ النّظير**
← **التناسب المجازيّ**

القاعدة:

- التّناسبُ يكونُ باقترانِ كلمتينِ مُتناظِرَتَينِ مُتناسِبَتَينِ في المعنى تستدعي إحداهُما الأخرى بلا ترادف ولا طِباق
- التّناسب نوعان: بلا مجاز يُدعى (مراعاة النظير)، ومجازيّ هو التّناسب المجازيّ

1- مُراعاة النّظير

مُراعاةُ النّظير تكون باقتران كلماتٍ مُتناسِبةٍ بغير مجاز (ولا ترادف ولا طباق).

- الأمثلة:

1. {الشمس والقمر بِحُسْبَانٍ } [الرحمن5] .
2. أَحمدُ اللّهَ نِيَّةً وثناءَ غُدوةً بل عَشيَّةً بل مساءَ

- توجد علاقة تناسب بين الشّمس والقمر في المثال الأول.
- توجد علاقة تناسب بين أحمد وثناء، والغُدوة والعَشيَّة والمساء في المثال الثاني.

ملاحظة: لا يوجد في الأمثلة السابقة ترادف ولا طباق بين الكلمات المتناسبة، ولا يوجد في التركيب مجاز.

القاعدة:

- مُراعاةُ النّظير تكون باقتران كلماتٍ مُتناسِبةٍ بغير مجاز
- يجب أن لا يكون بين الكلمات المُتناسبة ترادف ولا طِباق

- أمثلة للتمرين:

1. {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا العَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا المُضْغَةَ عِظَاماً فَكَسَوْنَا العِظَامَ لَحماً ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبَارَكَ الله أَحْسَنُ الخَالِقِيْنَ} [المؤمنون14].
2. {وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا* فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا* فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا* فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا* فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا} [العاديات:1- 5]

3. {وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: 36]
4. قالَ رَسُولُ الله ﷺ: (إِنَّ الله لا يَنْظُرُ إِلى أَجْسامِكُم، وَلا إِلى صُوَرِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وأَعمَالِكُم).
5. *تلك الخدود السّمر أين نَضارها؟ أيـن ابتسامٌ ما يفـــارق فاكِ؟
   أمْ أين موج ضفـــائرٍ وجـــدائلٍ هامت بها الأرواح؟ أين نداكِ؟
6. كُلُّ العُلومِ سِوى القُرآنِ مَشغَلَةٌ إِلّا الحَديثَ وَعِلمَ الفِقهِ في الدينِ
7. إذا رُمتُ مِن لَيلى عَلى البُعدِ نَظرَةً تُطَفّي جَوىً بَينَ الحَشا وَالأَضالِعِ
8. شُعوبُكَ في شَرقِ البِلادِ وَغَربِها كَأَصحابِ كَهفٍ في عَميقِ سُباتِ
   بِأَيمانِهِم نورانِ ذِكرٌ وَسُنَّةٌ فَما بالُهُم في حالِكِ الظُلُماتِ

2- التّناسب المجازيّ

التّناسب المجازيّ يكون باجتماع كلمات متناسبة مع مجاز، (وبغير ترادف أو طباق).

- الأمثلة:

1. أحَادِيثُ تَرْوِيها السُّيولُ عن الحَيَا عن البحرِ عن جُودِ الأميرِ تميم
2. الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ
3. فأمطرت لؤلؤاً من نرجسٍ وسقتْ وَرداً وعَضَّتْ على العُنّابِ بالبَرَدِ

- توجد علاقة تناسب بين أربع كلماتٍ هي: تروي والسيول والحيا (المطر) والبحر في المثال الأوّل.

- توجد علاقة تناسب بين ثلاث كلماتٍ هي: الخيلُ والسيفُ والرمحُ، وبين كلمتَينِ هما: الليلُ والبيداءُ، وبين كلمتَينِ هما: القرطاسُ والقلمُ في المثال الثاني.

- توجد علاقة تناسب بين ثلاث كلماتٍ هي: لؤلؤ ونرجس وعُنّاب (ثمر)، وبين كلمتَينِ هما: أمطرتْ والبَرَد.

- يوجد مجاز في المثال الأوّل (أحَادِيثُ تَرْوِيها السُّيولُ)
- يوجد مجاز في المثال الثاني (الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني)
- يوجد مجازات هي: أمطرت لؤلؤًا من نرجسٍ... (استعارات)

القاعدة:

1. التّناسب المجازيّ يكون بين كلمتين أو أكثر في جملة واحدة، وتكون الكلمات متناسبة معًا.
2. يكون عدد الكلمات المتناسبة كلمتين أو أكثر.
3. يُشترط أن يوجد مجاز في الجمل المتناسبة.
4. المناسبة هنا من أساليب توظيف المجاز

- أمثلة للتمرين:

- قال تعالى: {والنجم والشجر يَسْجُدَانِ} [الرحمن: 6]
- قال تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} [البقرة:16].
- *قلبي الصواري، والبحار دمي، وشعري الباخرة.
- والطَّيرُ تقرأُ والغديرُ صحيفةٌ والريحُ تكتبُ والغمامُ ينقّطُ.
- وتركتني للذارياتِ تذرّني كحلًا لعين الشمس في الفلواتِ.
- أعتّقُ الحبَّ في قلبي وأعصرُهُ فأرشفُ الهمَّ في مغبرّ كاساتي.
- نصَبتْ عينايَ له شرَكاً في النّومِ فعزَّ تصيُّدهُ
- في خَدّهِ فَخٌّ لعطفةِ صِدغِهِ والخالُ حَبَّتُهُ وقلبي الطّائرُ

أسئلة التمرينات

- أضعُ خطًّا تحت الكلمات المتناسبة في الأمثلة السابقة.
- أبيّنُ الفرقَ بينَ مراعاة النّظير والتّناسب المجازيّ

....

- أستخدمُ الكلمات في أسلوب التّناسب المجازيّ وفق النموذج:

النموذج: أشرق . شمس . صباح

أشرقت شمس الحرية معلنةً صباح النّصر.

1. الليل . النجوم . السماء. ....
2. لعب . كرة . مرمى. ....
3. سمع . أذن . صوت. ....

- أكتبُ ثلاث جمل مفيدة فيها تناسب مجازيّ.

1. ....
2. ....
3. ....

مُناقشة

يُعدُّ التّناسب أهمَّ فنون البديع، ولا نبالغ إذا قلنا: إنّه لبّ البلاغة والبديع، ويكتسب أهمّيّتَه من أمورٍ عدّة نذكر منها:

- بروز قوّته في تحقيق الاستدعاء والتوقّع والإرصاد
- أنّه سبيلٌ إلى تحقيق تماسك النصّ وانسجامه ومتانته
- أنّه يُكسب النصَّ في اتّحاده مع المجاز قيمةً جماليّةً عُليا

والتّناسب أصبحَ عِلمًا اهتدى إليه المُتأخِّرونَ في تفسير القرآن الكريم وإثبات وحدته، وذلك بالمعنى الواسع للرّبط الذي نستطيع أن نسمّيَه الرّبطَ أو التّناسبَ التّركيبيَّ، ويدخل فيه بمعناه الضيّق ما يُسمّى (تشابه الأطراف) كما في

قوله تعالى: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ وَهُوَ اللّطِيْفُ الخَبِيْرُ} [الأنعام103]. فكلمة "اللّطِيف" تُلائم وصْفَهُ تعالى بأنّه لا تُدْركُه الأبصار، وكلمة "الخبير" تُلائم وصفه بأنّه يُدْرِك الأبصار جميعها، والتّناسبَ التّركيبيَّ هذا يختلف عن التناسب الإفراديّ الذي تحدّثنا عنه، والذي يقوم على اقتران مفردات تنتمي إلى حقول دلاليّة معيّنة وغير مترادفة. وبه تُفسَّر أسماءُ الله في نهاية الآي مثل: {السّميع البصير} و{العزيز الحكيم} و{اللّطيف الخبير}...

الفنّ الخامس: الجمع والتّفريق

الجمع والتفريق: يتألف الجمع من عناصر متفرّقة، ونستطيع أن نسأل عن الجمع: ما هو؟ ويكون الجواب بذكر المُتفرّقات.

- الأمثلة:

1. الفصول الأربعة: الصيف والخريف والشتاء والربيع.
2. السماء والأرض خلقان عظيمان من خلق الله.
3. الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

- الشرح:

- في المثال الأوّل (الفصول الأربعة) تدلّ على جمع.
(الصيف والخريف والشتاء والربيع) تدلّ على التفريق.
- نسأل: ما الفصول الأربعة؟ نجيب: الصيف والخريف والشتاء والربيع.
- نسأل: ما الخلقان العظيمان؟ الجواب: السماء والأرض.

- نسأل: مَن تعرفني؟ الجواب: الخيل والليل والبيداء والسيف والرمح والقرطاس والقلم.

- في المثال الأول الجمع قبل التفريق.
- في المثال الثاني التفريق قبل الجمع.
- في المثال الثالث الجمع وسط التفريق.

  - في المثال الأوّل الجمع (الفصول الأربعة) والثاني (خلقان عظيمان) يدلّ على العدد
  - في المثال الثالث الجمع (تعرفني) يدلّ على الحدث

القاعدة:

- يكون الجمع والتفريق بين كلمات في جملة واحدة تكون إحداها للجمع والكلمات الأخرى للتفريق، وعناصر التفريق تجتمع في حكم واحد هو الجمع.
- قد يكون الجمع قبل التفريق، وقد يكون التفريق قبل الجمع، وقد يأتي الجمع وسط التفريق.
- يدلّ الجمع على الحدث والعدد.
- الجمع والتفريق أسلوب تعليمي من أساليب الشرح والتعليم.

مثالان على جمع العدد وجمع الحدث

- قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ).

الجمع (آية المنافق ثلاث)، وهو يدلّ على العدد.

- قال تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} [الكهف46].

الجمع (زينة الحياة الدنيا)، وهو يدلّ على الحدث.

- أمثلة للتمرين:

1. {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرَّحْمَن 5، 6].
2. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ} [المائدة 90].
3. {وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ} [فاطر 12].
4. {وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً} [الإسراء 12].
5. {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ} [فَاطِرٍ 32].
6. {اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ۖ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ} [القصص32].
7. قال النبيّ عليه الصلاة والسلام: (أربعٌ من السعادة: المرأةُ الصالحةُ، والمسكنُ الواسِعُ، والجارُ الصالحُ، والمَرْكَب الهنيءُ، وأربعٌ من الشقاء: المرأةُ السوءُ، والجارُ السوءُ، المركبُ السوءُ، والمسكنُ الضيّقُ).
8. إنّما المرءُ بأصغريه: قلبه ولسانه.
9. تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَانِ في طَلَبِ الْعُلى   وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ:
   تَفَرُّجُ هَمٍّ، وَاكْتِسابُ مَعِيشَةٍ،   وَعِلْمٌ، وَآدَابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ.

- الأمثلة: 1 ، 2 يدلّ الجمع فيها على الحدث
- الأمثلة: 3 ، 4 يدلّ الجمع فيها على العدد

أسئلة التمرينات

1. أحدّدُ من الأمثلة السّابقة ما يدلُّ فيها الجمع على الحدث، وما يدلُّ فيها الجمع على العدد ممّا لم يتمّ تحديده.

- الحدث: ....
- العدد: ....

2. أختارُ الإجابة الصحيحة

- في الآية: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}

نوع الفنّ البديعيّ:

A جناس	B ترادف	C طباق	D جمع وتفريق

- في المثل: إنّما المرءُ بأصغريه: قلبه ولسانه نوع الفنّ البديعيّ:

A ترادف	B جناس	C جمع وتفريق	D طباق

– في البيت: الخيلُ والليلُ والبيداءُ تعرفُني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

يدلّ الجمع على:

A الزّمن	B الحدث	C العدد	D النّوع

3. أوظِّفُ كلمة الموت في إنشاء جُملةً لأسلوب الجمع والتفريق

- ....

مُناقشة

الجمع والتفريق فنٌّ بديعيٌّ يهدفُ بصيغتِهِ العلميّة إلى الشرح والتوضيح والتّعليم، ويمكن أن يكون فنّيًّا جماليًّا بحسبِ المجموعِ والمفروق وأثر التخييل في الاستعمال ففي قولنا:

– *ليلانِ أفكاري وصوتُكِ في الخواء / لكنَّ إيماني الفلق

يكتسب الجمع والتفريق قيمةً جماليّةً؛ لأنَّ الخطابَ تخييليٌّ لا علميٌّ، فهذه العلاقة بين الجمع وعناصره يمكن استغلالها فنّيًّا لإنتاج نصوص ذات قيمة جماليّة لا يُستهان بها، وهي في الخطاب العلميّ ذات قيمة فنّيّة تتمثّل في التوضيح والتعليم، وكان هذا الأسلوب حاضرًا كثيرًا في القرآن الكريم، وفي أحاديث النبيّ الكريم عليه الصلاة والسّلام.

والجمع والتّفريق دَرَسَه البلاغيّون إلى جانب مصطلحات أخرى كالطّيّ واللّفّ والنّشر والتقسيم، وهي تُعنَى بالتشقيقات والتشعيبات المملّة من جهة التعدّد والتوزيع والترتيب، ونحن أجملنا الأمر بأن جعلنا الجمع على ضربين: العدد، والحدث. أمّا الحدث فيوافق في معناه إلى حدّ ما مصطلح اللّفّ، والعدد يوافق مصطلح الجمع، وهو وفق هذا التقسيم أجدى نفعًا وأسهل مأخذًا.

الفنّ السّادس: التّكرار

وهو أن تتكرّر الكلمة بلفظها ومعناها، وتدخلُ فيه فنون عديدة منها: أسلوب الذِكْر، وردُّ العَجُزِ على الصّدرِ، والمُشاكلة، والعكس...

1- أسلوب الذِّكْرِ

وهو تكرار ذكر الكلمة مع استحقاق الضمير محلّها لغرضٍ ما، وهذا النوع من التّكرار كثيرٌ، وبابه الحقيق به هو علم المعاني بحسب البلاغيين المُتأخّرين، لكنّنا سنمثّل له ببعضِ الأمثلةِ:

- {القَارِعَةُ* مَا القَارِعَةُ * وَمَآ أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ} [القارعة1- 3]، في غير القرآن نقول: القارعة، ما هي؟ وما أدراك ما هي؟ لكن تكرّر لفظ القارعة ثلاث مرّات للدلالة على عَظَمةِ ذلك اليوم وهَولِهِ، ومثله: {الحَآقَّةُ* مَا الحَآقَّةُ* وَمَآ أَدْرَاكَ مَا الحَآقَّةُ} [الحاقّة1- 3].
- ألا حَبْذَا هِنْدٌ وأرْضٌ بِها هِنْدٌ   وهِنْدٌ أتى مِنْ دونِها النَّأيُ والبُعْدُ
  تكرّرَ اسم هند ثلاث مرّات، وكان حقُّها ألّا تتكرّرَ، لكنّ الشاعر كان يتلذّذ بذكر اسمها فأعاده ثلاثًا، ومن ذلك:
- قِفا وَدِّعا نَجدًا وَمَنْ حَلَّ بِالحِمى   وَقَلّ لِنَـجدٍ عِندَنا أَن يُوَدَّعا

2- ردُّ العَجُزِ على الصّدرِ

وهو أنْ تتكرَّرَ الكلمةُ فتُذكَرُ في العبارةِ الأولى، ويُعادُ ذِكرُها في الثانية من باب الربط والتّوقّع والإرصاد، وأمثلته:

- {وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ} [الأحزاب: 37]
- {اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا} [نوح: 10]

- سريعٌ إلى ابنِ العمّ يلطمُ وجهَهُ   وليسَ إلى داعي النّدى بسريعِ
- سُكْرَانِ سُكْرُ هوًى وسُكْرُ مُدامةٍ   أنَّى يُفيقُ فتًى بهِ سُكْرانِ
- تمتّعْ مِن شَمِيمِ عَرَارِ نَجْدٍ   فما بعدَ العَشِيَّةِ مِن عَرَارِ
- فدعِ الوعيدَ فما وعيدُكَ ضائري   أَطَنِينُ أجنحةِ الذّبابِ يَضِيْرُ

3- المُشاكلة

وهو أنْ تتكرَّرَ الكلمةُ ذاتها مرَّتَينِ، لكنّها تدلّ في المرّة الثانية على معنى مختلف غير معنى الأوّل من جهة القصد، وقيل: هي ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته، ومن أمثلة هذا الفنّ:

- {فَمَنِ اعْتدَى عَلَيْكُمْ فَاعتَدُوْا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ واتَّقُوا الله واعْلَمُوْا أَنَّ الله مَعَ المُتَّقيْن} [البقرة194]

إنّ مقابلة الاعتداء بمثله لا يُسَمَّى في الأصل اعتداءً، ولكنْ سوَّغ هذا الإطلاق داعي المشاكلة، ومثله:

- {يُخَادِعُونَ الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء142]
- {وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ* الله يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة14، 15].
- ألاَ لاَ يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا   فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلينَا

سَمَّى تأديبَ الجاهل على جَهْلِهِ جَهْلاً من باب المشاكلة

- قَالُوا: اقْتَرِحْ شَيْئاً نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ   قُلْتُ: اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصَا

فطلبَ طَبْخَ جُبَّةٍ وقميصٍ على سبيل المشاكلة مع قولهم؛ إذ إنّ حاجتَه للّباس أهمُّ عنده مِن حاجتِهِ للطّعام، أو أنّ طلب الستر مقدّمٌ على طلب الغذاء.

- مَنْ مُبْلِغٌ أفناءَ يَعْرُبَ كلَّهَا   أنّي بَنيْتُ الجَارَ قَبلَ المَنزلِ

فبناء الجار جاء على سبيل المشاكلة لاقترانه مع بناء الدّار

- أتُرَى القاضي أعمى   أم تُراهُ يَتعامى

سرقَ العيدَ كأنَّ الـ ... ـعيدَ أموالُ اليَتامى

فالعيدُ لا يُسرَقُ، لكنّ الشاعر ذكرَ ذلك على سبيل المشاكلة ومصاحبة ذِكْرِهِ ذِكْرَ أموالِ اليتامى واقترانه به.

4- المُزاوجة

وهو أنْ تتكرَّرَ الكلمةُ ذاتها مرَّتَينِ على سبيل المصاحبة والتعالق، وتكون مع أسلوب الشّرط ظاهرًا وخفيًّا، فيترتّب ذكر الكلمة المكرّرة المذكورة في الجزاء على المذكورة أوّلًا في الشرط، وأمثلتها:

- إِذَا مَا نَهَى النَّاهِي فَلَجَّ بيَ الهَوَى أَصَاخَتْ إِلَى الوَاشِي فَلَجَّ بها الهَجْرُ

فذِكْرُ اللجاجة (لجَّ) تكرّرَ، وترتّبَ ذِكْرُها الثاني على الأوّل.

- إِذَا احْتَرَبَتْ يَوْماً فَفَاضَتْ دِمَاؤُهَا   تَذَكَّرَتِ الْقُرْبَى فَفَاضَتْ دُمُوعُها

فذِكْرُ الفيضان (فاضَتْ) تكرّرَ، وترتّبَ ذِكْرُه الثاني على الأوّل.

- إذا ما بدَتْ فازدادَ منها جمالُها   نظرْتُ لها فازدادَ منّي غرامُها

تكرّرَ ذِكْرُ (الازدياد)، وترتّبَ ازدياد الغرام على ازدياد الجمال.

- إذا تزوّجَ إثْمي فاقتضى نِقَمِي   حقَّقْتُ فيهم رجائي فاقتضى نِعَمِي

تكرّرَ لفظ (الاقتضاء)، وترتّبَ ذِكْرُها الثاني على الأوّل.

5- العَكس

العكسُ هو أن تتكرّرَ الكلمات بتكرّرِ التّركيب مُبدَّلًا، ويُدعى التبديل أيضًا، ومن أمثلته:

- {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ} [الروم19]
- {مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ} [الأنعام52] .
- {وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلُّ لَّهُمْ} [المائدة5]
- "عاداتُ السّاداتِ ساداتُ العاداتِ".
- وقول الحسن البصريّ: "إنّ من خوّفَكَ حتّى تلقى الأمنَ خيرٌ ممّن أمّنَكَ حتّى تلقى الخوفَ".
- فلا مجدَ في الدُّنيا لمَن قلَّ مالُهُ ولا مالَ في الدُّنيا لمَن قلَّ مجدُهُ
- أفدي ظُباهُ فكمْ عظَّمْنَ ذا صَغَرٍ في الله قدْرًا وكمْ صغَّرْنَ ذا عِظَمِ (ظُبا- سيف)
- أبدى العجائبَ فالأعمى بنفْثَتِهِ غدا بصيرًا وفي الحربِ البصيرُ عَمي
- رمَى الحَدَثانُ نِسوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدارٍ سمَدْنَ له سُمودا (السمود- الغناء بحزن)
  فردَّ شُعورَهُنّ السُّودَ بِيضاً وردَّ وجوهَهُنَّ البيضَ سُودا

القاعدة:

- التّكرار أن تتكرّر الكلمة بلفظها ومعناها مقترنةً في تركيبٍ واحدٍ.
- تدخلُ في التّكرار فنونٌ عدّة منها: أسلوب الذّكر، وردُّ العَجُزِ على الصّدرِ، والمُشاكلة، والمزاوجة، والعكس.
- قد يكون التّكرار من باب إعادة الذّكْر مع استحقاق الضمير (أسلوب الذِّكْر)، أو من باب الربط والإرصاد (أسلوب ردّ العجز على الصدر)، أو من باب المُصاحبة (المشاكلة) و(المزاوجة)، أو من باب التبديل (العكس).

أسئلة التمرينات

4. أذكرُ أنواع التّكرار التي أعرفها مع مثالٍ لكلّ نوع.

- ....
- ....
- ....
- ....
- ....

5. أختارُ الإجابة الصحيحة

- في الآية: {يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيّتَ مِنَ الْحَيّ}

نوع التّكرار هو:

A المزاوجة	B المشاكلة	C العكس	D الذِّكْر

- في البيت: مَنْ مُبْلِغٌ أفناءَ يَعْرُبَ كلَّهَا أنّي بَنيْتُ الجَارَ قَبلَ المَنزلِ

نوع الفنّ البديعيّ:

A ترادف	B تكرار	C جمع وتفريق	D تناسب

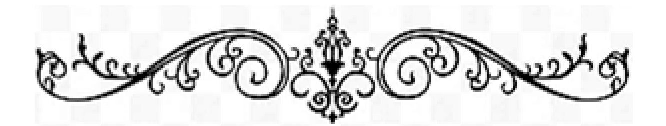
6. أكتبُ مثالًا على المزاوجة، وآخر على المشاكلة

- ....
- ....

مُناقشة

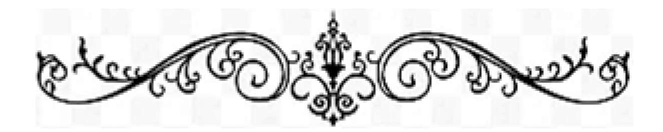
يُعدّ التّكرار من أكثر الفنون المتعلّقة بالاقتران غنى بالأشكال والأساليب، وهو سمة بارزة في اللغة تكاد ترتقي إلى مستوى التناسب في الأهميّة، من جهة كثرة التّردّد، وجمال الاستعمال، وتحقيق الربط والإرصاد. وتبيّنتْ جماليّةُ الاستعمال فيه من خلال أسلوب المشاكلة الذي دخل فيه المجاز، وبرز أثر التكرار في الربط والإرصاد من خلال أساليب: ردّ العجز على الصدر، والمُزاوجة، والعكس.

إنّ التّكرار بابٌ واسعٌ تدخل فيه فنونٌ كثيرةٌ إنّما اقتصرنا على بعض فنونه أخذًا بمبدأَي التيسير والأهميّة، وتظهر الكثرة بما يكشف عن أهمّيّة التكرار عند مطالعة القرآن الكريم الذي يفيضُ بفنون التّكرار، فثمّة التكرار الذي يفيد التوكيد كما في التوكيد اللفظيّ والمفعول المطلق كما في قوله تعالى: {هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ} [المؤمنون36]، وقوله: {فَاصْبِرْ صَبْراً جَمِيلاً} [المعارج5]، أو {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا} [النساء164]، وبلاغة التكرار في الآية الأخيرة تستوقفنا، ففيها ردٌّ على من قال من أرباب الفرق والمذاهب الضّالة: إنّ اللَّه لا يتكلّم. ففيه أنّ التكرار بذكر المصدر فيه توكيد وتقرير أنّ اللَّه سبحانه يتكلّم، ولا نخوض في الكيفية، {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[الشورى11]، {وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه110]، وثمّة التكرار الذي يكون من باب الإعادة خشية تناسي الأوّل لطول الكلام مثل: {إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُم لِي سَاجِدِينَ} [يوسف4]، فتكرّر الفعل (رأيت)، و: { ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ، ثُمَّ تابُوا مِنْ بَعْدِ ذلِكَ وَأَصْلَحُوا، إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ} [النحل 119]، وغير ذلك كثير.



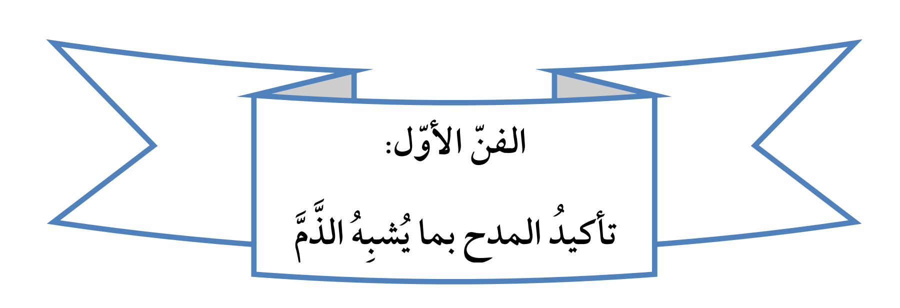
المستوى الثّاني: اقتران المعاني

1. تأكيد المدح بما يُشبِهُ الذّمّ
2. تأكيد الذّمّ بما يُشبِهُ المدح
3. الهَزْل الذي يُرادُ به الجِدّ
4. الاستتباع
5. الإدماج
6. التّفريع



اقتران المعاني

تقوم فنون هذا المستوى على اقتران أو جمع غرضَيْنِ أو معنيَينِ أو وصفَينِ في تركيبٍ واحدٍ، وقد يكون الجمعُ بإرادة أحد الغرضين على سبيل (**الامتزاج**)، وقد يكون بإرادة الغرضين معًا، أو بإرادة أحدهما أصالةً والآخر تبعًا على سبيل (**التّجاور**). أمّا الفنون الدّاخلة في باب (الامتزاج) فهي: تأكيد المدح بما يُشبِهُ الذّمّ (الاستثناء)، وتأكيد الذّمّ بما يُشبِهُ المدح (التّبكيت)، والهَزْل الذي يُرادُ به الجِدّ (التهكّم). وأمّا الفنون الدّاخلة في باب (التّجاور) فهي: الاستتباع، والإدماج، والتّفريع. وهو ما سنوضّحه، والحقّ أنّ فنون اقتران المعاني تحتاج إلى مزيد تأمّل للكشف عنها، ولا سيّما إن قرأناها في كتب البلاغة التعليمية مفرّقة، فيجد المتلقّي صعوبةً في ضبط قراءتها وفهمها، فهي مفرّقة الشأن، ومتداخلة الأمثلة أحيانًا، ولعلّنا وُفّقنا في تبسيطها وضبطها بالتركيز على توجّهها جميعًا نحو المعاني والأوصاف والأغراض، ثُمَّ بجمعها في قبيل واحد تحت عنوان (اقتران المعاني)، ثمّ في جعلها في شُعبتَينِ على تدرّج من الأوضح والأسهل إلى ما فوق ذلك: أولاهما الامتزاج؛ أي امتزاج المعنَيينِ المتضادَّينِ في أحدهما، كامتزاج المدح والذّمّ في أحدهما، أو امتزاج الجِدّ والهزل في أحدهما، والشّعبة الأخرى هي التجاور بأن يتجاور المعنيانِ على سبيل الإدماج في معنى عامّ، أو على سبيل الاستتباع، أو على سبيل التفريع، على أنّ تلك الفنون مع محاولتنا تبسيطها تبقى عصيّة الفهم على غير العرب، لذلك رأينا استبعاد عرضها عليهم كما أوردنا في الإرشادات في أوّل الكتاب. أمّا تفصيل فنون هذا المستوى ففي الآتي:



وهو المدح بأسلوب يوهِمُ أنّ المُراد الذمّ من خلال اتّباع أسلوب الاستثناء، وهو يقوم على اقتران غرضَي المدح والذّمّ على سبيل الامتزاج بأن يكون الغرض المُراد هو المدح بغيةَ توكيد المدح، وأمثلته:

1. قوله تعالى: {لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا، إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا} [الواقعة25،26].
2. {مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ القُرآنَ لتَشْقَى* إلاَّ تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَى} [طه2،3]
3. ولا عيبَ فيهِم غيرَ أنَّ سيوفَهُمْ بِهِنَّ فلولٌ مِن قِراعِ الكَتائبِ
4. فتًى كملَتْ أخلاقهُ غيرَ أنَّهُ جوادٌ فمَا يُبقِي مِن المالِ باقيا
5. ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنّي قصدْتُهُ فأنستْنيَ الأيّامُ أهلًا وموطنا
6. لا عيبَ فيهم سوى أنّ النزيلَ بِهِم يَسْلو عن الأهلِ والأوطانِ والحَشَمِ
7. ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنَّ خدودَهُ بِهِنَّ احمرارٌ من عيونِ المُتَيَّمِ
8. ليسَ بهِ عيبٌ سوى أنَّهُ لا تقعُ العينُ على شِبْهِهِ
9. فما فيه عيبٌ غيرَ أنّ جفونَهُ مِراضٌ وأنّ الخَصْرَ مِنهُ ضَعيفُ
10. ولا عيبَ في معروفِهم غيرَ أنَّهُ يُبَيّنُ عجزَ الشّاكرينَ عن الشُّكرِ
11. تُعَدُّ ذُنُوبي عِنْدَ قَوْمٍ كَثِيرةً وَلاَ ذَنْبَ لِي إلاَّ العُلا والفَضَائِلُ
12. فأفنَى الرَّدى أعمارَنا غيرَ ظَالِمٍ وأفنَى النَّدى أموالَنا غيرَ عائِبِ
   أبونا أبٌ لو كانَ للنّاسِ كلِّهم أبًا واحدًا أغناهُمُ بالمَناقِبِ
13. *هذا ربيعي مُزهِرٌ لكنّهُ إنْ صادفَ العينَينِ أسْموهُ النَّديْ

- في المثال (1) يُوهِمُ الاستثناءُ أنّهم سيسمعون كلامًا سيّئًا غير اللغو والتأثيم، ثمّ يظهر أنّهم يسمعون قيلًا سلامًا سلامًا، وفي (2) يُوهِمُ أنّ الله سبحانه أنزلَ على نبيّه القرآن لأمرٍ هو أشدُّ من الشقاء، ثمّ يتبيّن أنّه نعيم التذكرة للخشية، وفي (3) يُوهِمُ أنّ فيهم عيبًا وحيدًا، ثمّ يتبيّن أنّ ذلك العيب إنّما هو مدحهم بالشجاعة، وهكذا إلى آخر الأمثلة...

مُناقشة

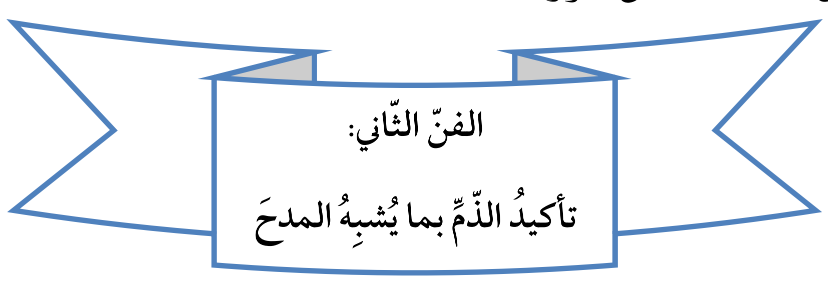
يُسمّى هذا الفنُّ الاستثناءَ؛ لأنّه يقوم على أسلوب الاستثناء النحويّ في الغالب بأدواته المعروفة (سوى، إلّا، غير، لكنّ...)، وقد يكون استثناءً بغير تلك الأدوات كما في قول الشاعر:

فتًى تمَّ فيهِ ما يَسُرُّ صديقَهُ على أنَّ فيهِ ما يسوءُ الأعاديا

ففيه استثناء ولا أداة، وقد نستطيع أن نجعل (على أنّ) أمارةً على الاستثناء، وهي استدراك، ومثلها (لكنْ)، والاستدراك جاور معنى الاستثناء في هذا الفنّ وجاوره اصطلاحًا أيضًا عند بعض البلاغيين، ويظهر أنّ هذا الفنّ استدراك بلبوس الاستثناء، ومجيئه بغير أدوات الاستثناء دفع بعضهم إلى التفريق بينهما، ونحن في هذا الباب نتكلّم على اقتران المعاني فأتاح ذلك لنا أن نجعلهما في قبيل واحد.

يهدف هذا الفنّ إلى التوكيد تداوليًّا، ويهدف إلى الإفجاء أسلوبيًّا، ومكمن التوكيد والإفجاء في أنّ الأصل في الاستثناء أن يكون المُستثنى من جِنس المستثنى منه (مُتَّصلًا)، فإن كان المُستثنى منه (عيبًا) كما في أكثر الشواهد، فإنّ المُستثنى يجب أن يكون من جنس العيوب، على أنّ المُتلقّي فوجئَ بأنْ لا عيبَ ولا ذَمَّ، وأنْ ذُكِرَ مدحٌ، فالبلاغة تكون أسلوبيّةً بكسر التّوقّع من خلال الانزياح كما في هذا الفنّ، في حين أنّها تكون تداوليّةً بتحقيق التوقّع والإرصاد.

يدخلُ هذا الفنُّ في غَرَضِ المدح وهو الأصل، كما يدخل في غَرَض الغَزَل لمّا كانَ الغزلُ مدحَ المحبوب، وفيه يقترن المدح معنى صريحًا مع الذّمّ إيهامًا. وقد لا يقترن مع الذمّ كما في المثال (4) و(13)، فيكون أضعفُ تأثيرًا وتوكيدًا وإفجاءً. وما ذكرناه في هذا الباب ينطبق على باب تأكيد الذّمّ بما يُشبِهُ المدح مع العكس، فلسنا بحاجة إلى تكرار المناقشة فيه.



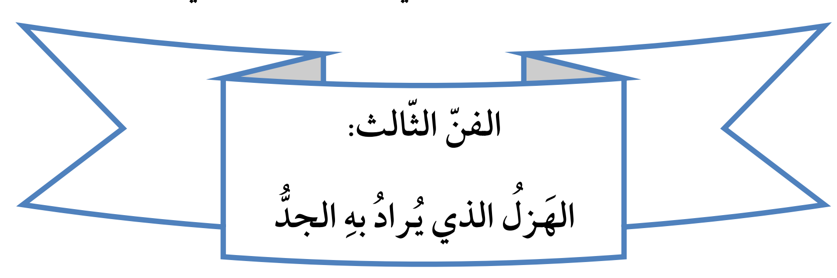
الفنّ الثّاني:

تأكيدُ الذّمِّ بما يُشبِهُ المدحَ

وهو الذّمُّ بأسلوب يوهِمُ أنّ المُرادَ المدحُ من خلال اتّباع أسلوب الاستثناء، وهو يقوم على اقتران غرضَي الذّمّ والمدح على سبيل الامتزاج بأن يكون الغرض المُراد هو الذّمّ بغيةَ توكيد الذّمِ، وأمثلته:

1. {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى* ولَكِنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى} [القيامة31،32]
2. {لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا* إِلَّا حَمِيْمًا وَغَسَّاقًا} [النبأ24،25]
3. {فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَا هُنَا حَمِيمٌ* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ} [الحاقّة35، 36]
4. خَلا مِن الفَضْلِ غيرَ أنّي   أراهُ في الحُمْقِ لا يُجَارَى
5. لا فَضْلَ للقومِ إلّا أنّهم   لا يَعرفونَ للجارِ حقَّه
6. هوَ الكَلبُ إلّا أنَّ فيهِ مَلالَةً   وسوءَ مُراعاةٍ وما ذاكَ في الكلبِ
7. لئيمُ الطِّباعِ سوى أنَّهُ   جَبانٌ يَهونُ عليهِ الهَوانْ
8. فإنَّ مَنْ لامَني لا خيرَ فيهِ سِوى   وَصفِي لَهُ بأَخَسّ النّاسِ كلِّهِم
9. يا رسولًا أعداؤُهُ أرذلُ النّا ... سِ جميعًا لكنّهمْ في الجَحيمِ

– الاستثناء في المثال رقم (1) يوهِمُ أنّ المقصود بالآية (لم يتصدّق ولم يصلِّ، ولكنّه فعلَ خيرًا غير ذلك)، ثمّ يتبيّن أنّ المُستثنَى شرٌّ ممّا استُثنيَ منه وهو الكذب والتّوليّ، وفي (2) يوهِمُ (أنّهم لا يذوقونَ البردَ والشرابَ في النّار ولكنّهم سيذوقون أمرًا آخر من أمور الخير)، ثمّ يظهر أنّهم يذوقون الحميمَ والغسّاق، وهكذا سائر الأمثلة، ففي ذلك إفجاءٌ للمتلقّي وكسرٌ لتوقّعه.



وهو أن يقصد المُتكلِّم مدحَ إنسان أو ذمّه بصفةٍ هي فيه على سبيل الجِدّ، فيخرج مقصوده مخرجَ الهَزْلِ المُعجِب، وفيه يتمّ اقتران الجِدّ والهَزْلِ على سبيل (الامتزاج)، والجِدُّ هو المُرادُ، وأمثلته:

1. أَرقِيكَ أَرقِيكَ باسمِ الله أَرقِيكَا   مِن بُخلِ نفسٍ لعلَّ الله يَشفيكَا
   ما سِلْمُ نَفسِكَ إلّا مَن يُتارِكُها   وما عَدوُّكَ إلّا مَن يُرجّيكَا
2. إِذَا مَا تَمِيمِيٌّ أَتَاكَ مُفَاخِرًا   فَقُلْ: عَدِّ عَنْ ذا. كَيْفَ أَكْلُكَ للضَّبِّ؟
3. سَلَبَتْ مَحَاسِنُكَ الغَزَالَ صِفَاتِهِ   حتَّى تَحَيَّرَ كُلُّ ظَبْيٍ فِيكَا
   لَكَ جِيدُهُ ولِحَاظُهُ وَنِفَارُهُ   وَكَذَا نَظِيرُ قُرُونِهِ لأَبيكَا
4. يا ذاهبًا في دارِهِ جائيًا   بغيرِ ما معنًى ولا فائدةْ
   قد جُنَّ أضيافُكَ مِن جوعِهِم   فاقْرَأ عليهِمْ سُورَةَ المائِدةْ
5. يقولُ أبو سَعيدٍ إذْ رآني   عَفيفًا منذُ عامٍ ما شربْتُ
   على يدِ أيّ شيخٍ تُبْتَ قلْ لي   فقلتُ: على يدِ الإفلاسِ تُبْتُ
6. أبو جَعْفَرٍ رَجُلٌ عالِمٌ   بِما يُصلِحُ المِعْدةِ الفاسِدةْ
   تَخَوَّفَ تُخْمَةَ أضيافِهِ   فعوَّدَهُمْ أَكلةً واحِدةْ

7. قالوا فلانٌ قد غدا تائبًا   واليومَ قد صلّى معَ النّاسِ
قلتُ متى كانَ وأنَّى لهُ   وكيفَ ينسى لذَّةَ الكاسِ
أمسِ بهذي العينِ أبصرْتُهُ   سكرانَ بينَ الوردِ والآسِ
ورحتُ عن توبتِهِ سائلًا   وجدتُها توبةَ إفلاسِ.

- المثال (1) يُظهِرُ الشّاعرُ الهَزْلَ والمُزاحَ في قوله، غيرَ أنّ المُرادَ هو الجِدُّ بأنّ هناكَ بُخلًا وجُبنًا، وفي (2) يُظهِرُ الشّاعرُ الهَزْلَ في الحديث عن الفخر والسؤال عن الضَّبِّ، والمرادُ هو الجِدُّ لأنّ الفخرَ لا يكون مع أكل الضَّبِّ الذي هو شأنُ بني تميم، وهو ما تعافُهُ القبائلُ الشريفةُ، وفي (3) يُظهِرُ الشّاعرُ الهَزْلَ في جعل القرون لأبي المذكور في الأبيات، ولعلَّ المذكورَ حبيبتُهُ، غير أنّه أراد الجِدَّ في ذلك الجعلِ هِجاءً للأبِ. وهكذا سائرُ الأبيات تسير هَزْلًا ويُرادُ بها الجِدُّ.

مُناقشة

يُسمّى هذا الفنّ التهكُّم، وثمّة من يرى أنّ التّهكُّمَ ضِدُّهُ، إذ ظاهرُهُ الجِدُّ، كما في قول ابن الروميّ:

فيا لَهُ مِن عملٍ صالِحٍ   يرفَعُهُ اللهُ إلى أسفلِ

ويكثر استعمال أسلوب الهَزْل الذي يُرادُ به الجِدُّ من أصحاب النّوادر مثل أشعب وأبي دُلامة وأبي العَيناء، ويقول ابن حجّة الحمويّ في هذا الفنّ: "ما سبَكَه في قوالبِهِ إلّا من لطُفَتْ ذاتُهُ، وكان له مَلَكَةٌ في هذا الفنّ وحسنُ تصرُّفٍ". وفيه يقترن الهَزْلُ بالجِدّ، غير أنّ الهَزلَ ظاهرٌ أسلوبيًّا، والجِدَّ مقصودٌ تداوليًّا، خلافًا للتّهكُّم كما بيّنا، ويكون الغرضُ من هذا الفنّ المُباسطة والاسترواح غالبًا، ولا يُرادُ منه التّمويه أو الإخفاء كما في التّوريّة مما سنأتي على ذكره لاحقًا، وقد يكون وراءه مقاصدُ أخرى غير المُباسطة كالدّفع إلى تغيير السلوك إذ يقوم على الانتقاد

أو التنبيه أو التجريح، فالشّعر يسير بين النّاس، وعادة النّاس الخشية من الفضيحة ومن انتشار أخبارها على ألسنة الآخرين، وأكثر هذا الفنّ في الذّم والسُّخريّة.

الفنّ الرّابع: الاستتباع

وهو الوصفُ بشيء على وجهٍ يستتبعُ الوصفَ بشيءٍ آخرَ، مدحًا أو ذمًّا، وهو يقومُ على اقتران وصفَينِ على سبيل التّجاور، وأمثلته:

1. نَهَبْتَ مِنَ الأَعْمَارِ مَا لَوْ حَوَيْتَهُ   لَهُنِّئَتِ الدُّنْيَا بأَنَّك خَالِدُ
2. أَسْعَدْتَ أَهْلِينَا بِفَرْطِ الجُودِ   والجُودُ مِنْكَ لَنَا شَقَاءُ حَسُودِ
3. ألا أيُّها المَالُ الذي قدْ أبادَهُ   تَسَلَّ فهذا فِعْلُهُ في الكَتائِبِ
4. عُمْرُ العَدوّ إذا لاقاهُ في رَهَجٍ   أقلُّ من عُمْرِ ما يَحوي إذا وَهَبَا (الرّهج- الغُبار)
5. يَعفونَ عن كلّ ذي ذَنبٍ إذا قَدَروا   مُستَتبعينَ نداهمْ عندَ عفوهُمُ
6. تَجري دِماءُ الأعادي مِن سيوفِهِمُ   مثلَ المَواهبِ تَجرِي مِن أكفّهِمُ
7. إنَّ لَفظًا تَلوكُهُ لَشبيهٌ   بكَ في منظرِ الجَفاءِ الجَليفِ
8. وبثُّوا الجِيادَ السّابحاتِ ليلحَقوا   وهلْ يُدرِكُ الكسلانُ شأوَ أخي المَجدِ
   فسارُوا وعادُوا خائبينَ على وجًى   كما خابَ من قد باتَ منهمْ على وعدِ

- في المثال (1) استُتبِعَتْ صفةُ الشجاعة (نَهْب الأعمار)، بصفةٍ أخرى وهي خلود الممدوح وهناء الدّنيا بذلك، وفي (2) استُتبِعَتْ صفةُ كرم الممدوح وسعادة أهل المادح بذلك الكرم بصفة شقاء حاسديهم، وفي (3) استُتبِعَتْ صفةُ الكرم بصفة الشجاعة، وهكذا حتّى آخر الأمثلة، والأمثلة في المدح بصفتي الكرم والشجاعة؛ تستتبع إحداهما الأخرى، باستثناء الأخيرين فهما في الهجاء...

مُناقشة

الاستتباع انتقال فكريّ ذهنيّ من صفة إلى أخرى بينهما تعالقُ اتّحادٍ أو تناظرٍ في الغرض، وتقترن الصفة الثانية بالأولى على سبيل زيادة الوصف وتوكيد الغرض، فهي سبيل من سبل الاستدعاء والربط يُماثل ما في اقتران الألفاظ من مُراعاة النّظير أو التّرادف، ويغلب تناول هذا الفنّ في غرض المدح، على أنّه قد يأتي في غيره، ونلحظ أنّ الجامع والدافع إلى الاقتران بين الصفات في هذا الباب هو الغرض العامّ، وقد يدخل في ذلك أمرٌ لفظيّ مثل الطباق في (1) و(2) و(8)، أو التّكرار كما في (4) و(5) و(6)، والتماثل على سبيل الترادف أو التناظر كما في أغلب الأبيات، وهذا الفنّ يلتبس بغيره مثل تكرار المزاوجة، على أنّه استتباع بما يقتضيه أمر اقتران المعاني والانتقال الفكريّ بينها وتعالقها، وهو اقتران امتزاج باعتبار الغرض العامّ، واقتران تجاور باعتبار خصائص الصفات المقترنة وتمايزها، والقول بالتّجاور هو الأصل، فالتركيب يحتوي على وصفَينِ متمايزيَنِ.

الفنّ الخامس: الإدماج

أن يضمّنَ المتكلّمُ كلامًا ساقه لمعنًى معنًى آخرَ لا يُصرّحُ به، ويقترنُ المعنيانِ على سبيل التّجاور غير أنّ الصريحَ أظهرُ من الضمنيّ، وأمثلته:

1. أقلّبُ فيه أجفاني كأنّي ... أُعدُّ بهِ على الدّهرِ الذُّنوبا
2. نَفضَ العاشقونَ ما صَنعَ الهَجـْ ... ـرُ بألوانِهمْ على وَرَقِهْ
3. لهمْ أَحاديثُ مَجْدٍ كالرّياضِ إذا ... أهدَتْ نَواسمَ أحيَتْ دارِسَ السَّلَمِ
4. أبى الدّهرُ مِن إسعافِنَا في نفوسِنا ... فأسعفَنا فيمن نُحِبُّ ونُكرِمُ
فقلتُ لهُ نُعماكَ فيهِم أَتِمَّها ... ودعْ أمرَنا إنَّ المُهمَّ المُقدَّمُ

5. واحفظْهُ في سِربِهِ وارفعْ لهُ عَلَمًا   في السَّابقينَ وسِرْ بي في حِمَى العَلَمِ

- في المثال (1) قرنَ بين المعنى الصّريح (طول الليل) والمعنى الضمنيّ المُدمَج فيه (الشكاية من الدهر) على سبيل التجاور والتضمين، وفي (2) قرنَ بين المعنى الصّريح (وصف نبات أصفر يُدعى الخيريّ) والمعنى الضمنيّ المُدمَج (الغزل)، وفي (3) قرنَ بين معنيَي: وصْفِ طيْبِ أحاديثِهم (الصريح)، ووصْفِ الرّياض (الضمنيّ) وهو وصف ضمنيّ ومُستتبَع ومُدمَج مع وصف الأحاديث، وهكذا في سائر الأمثلة، ونلحظ أنّ المعنى الصريح هو المقصود وهو الأصل، والمعنى الآخر الضمنيّ ليس هو المقصود إلّا بما يتمّم الصريح أو يؤكّده أو يبيّنه...

مُناقشة

يقوم الإدماج على الانتقال السلس بين الصفات والمعاني، والعلاقة هنا علاقة إتمام المعنى الضمنيِّ المعنى الصريحَ أو تبيينه أو توكيده، فالمعنى الثاني مُدمَجٌ في الأوّل ومُضمَّنٌ فيه ومتمّمٌ لمعناه، فهو تذييلٌ للأوّل وفرعٌ عنه، وليس هو المقصود في ذاته من جري الوصفِ، ومن هنا يفترق عن الاستتباع الذي يتأسّس على معنيَينِ أصلَينِ مقصودَينِ في ذاتَيهما، ونلحظ أن المعاني والأغراض في الأمثلة مختلفة بين غزل ومدح وشكوى ووصف، قصدها الشّعراء والتفتوا إلى معانٍ أخرى ضمنّوها في أغراضهم وأدمجوها فيها.

الفنّ السّادس: التّفريع

وهو أن يتفرّعَ عن وصفٍ ما وصفٌ آخرُ يتعلّقُ به مُشابهةً أو مُخالفةً على سبيل الاستدعاء والاستدراج والتّعقيب وتمام الوصف، ويكون باقتران الوصفين على سبيل التّجاور.

- وقد يكون التّفريع من قبيل **التوكيد** وأمثلته:

1. {فَبَدَّلَ الذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الذِيْ قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ السمآء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ} [البقرة59]

2. {قَالَ لَهُمْ مُوسَى وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى الله كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افترى} [طه61]

3. تَعَلَّمَ الغَيْثُ منكَ الجُودَ مُنْهَمِلاً فكيفَ لا تُرْتَجَى عندَ المُلِمَّاتِ
والَّلَيْثُ يَحْلُمُ أَنْ يلقاكَ قائِدَهُ فهل لِبَأسِكَ نِدٌّ في البُطولاتِ

- وقد يكون التّفريع من قبيل **المزاوجة والاستتباع** معًا

4. أحلامُكُمْ لِسِقامِ الجَهلِ شافيةٌ كما دِماؤُكُمْ تَشفي مِن الكَلَبِ

5. فاضَتْ يداهُ بالنَّضارِ كما فاضَتْ ظُباه في الوغى بدمي (ظُبا- سيف)

6. كلامُهُ أخدعُ من لحظِهِ ووعدُهُ أكذبُ من طبعِهِ

- وقد يكون التفريع من قبيل **التشبيه**، وأمثلته:

7. طَللانِ طالَ عليهِما الأمدُ درسَا فلا عَلَمٌ ولا نَضَدُ

لبِسا البِلى، فكأنَّما وَجِدَا بعدَ الأَحبَّةِ مثلَ ما أَجِدُ

(العلم- الجبل، النضد- الحجارة وَجِدا- عشقا وحزنا)

8. سمْحُ البديهةِ ليسَ يُمسِكُ لفظَهُ فكأنَّما ألفاظُهُ من مالِهِ

وكأنَّما عَزَماتُهُ وسيوفُهُ من حدِّهِنَّ خُلِقْنَ مِن إقبالِهِ

مُتبسِّمٌ في الخطْبِ تحسبُ أنَّهُ تحتَ العَجَاجِ مُلثَّمٌ بِفِعالِهِ

9. *يا لِهذا القلبِ تُغريهِ الصَّبا فكَأنَّ الشَّطَّ نَاغى نَورسَا

– وقد يكون التفريع من قبيل **النّفي والجُحُود**، باستخدام (ما) النافية التي يليها (المجرور بالباء الزائدة)، أو أفعل التفضيل، والتفريع يبدأ ممّا يلي (ما) أي يبدأ من الخبر مثل:

10. ما روضَةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعشِبَةً غنّاءَ جادَ عليها مُسبِلٌ هَطِلُ

يضاحكُ الشَّمسَ منها كوكبٌ شرقٌ مؤزّرٌ بعميمِ النَّبْتِ مُكتهِلُ

يومًا بأطيبَ منها طِيْبَ رائحةٍ ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُلُ

11. ما رَبْعُ ميَّةَ معمورًا يطيفُ بهِ غِيلانُ أبهى ربًى مِن رَبْعِها الخَرِبِ

ولا الخدودُ وإنْ أدميْنَ مِن خَجَلٍ أشهى إلى ناظري مِن خَدِّها التَّرِبِ

12. وما درّةُ الغوّاصِ صبّرَ نفسَهُ ليغنمَ منها عرضةً للمَتالفِ

بأحسنَ من بنتِ ابنِ عمرانَ في الدُّنا يُراعُ لها من هزّةٍ كلُّ واصفِ

– في المثال (1) تفرّعَ عن ذِكْرِ ظلم الذين بدّلوا القول ذِكْرُ إنزال الرجز عليهم بسبب ظلمهم، على سبيل التوكيد، وفي (3) تفرّعَ عن ذِكْرِ شفاء الأحلام لسقام الجهل ذِكْرُ شفاء الدّماء من الكَلَب على سبيل المزاوجة والاستتباع، وفي (8) تفرّعَ عن ذِكْرِ دروس الأطلال وبِلاها وبُعدِ أهلها عنها ذِكْرُ بُعدِ الأحبّة على سبيل تشبيه حال بحال، وفي (11) تفرّعَ عن ذِكْرِ الروضة وجمالها ذِكْرُ جمال المحبوبة، وأنّها أطيب رائحة وأحسن نضارةً من تلك الروضة على سبيل النفي والجحود.

مُناقشة

ثمّة ضروب أخرى للتفريع مثل أن تذكرَ الاسم مكرّرًا، وأن تُتبِعَهُ كلَّ مرّةٍ بصفات مختلفة، وهذا أقرب إلى التكرار أو الجمع والتفريق، لذلك لم نتطرّق لذكره هنا، والحقّ أنّ التفريع من أكثر فنون هذا الباب أي باب (اقتران المعاني) غموضًا لذلك قال عنه ابن رشيق: "هو نوعٌ خفيٌّ إلّا على الحاذق البصير بالصّنعة"، ونحن حاولنا أن نفرّعه فروعًا إبعادًا للَّبْس وتسهيلًا للفَهم.

إنّ التفريع من قبيل اقتران المعاني على سبيل التجاور، وفيه يكون المعنى الثاني متّصلًا بالأوّل صلة توكيد معنى، أو التشبيه به، أو إتمامه، والتشبيه والإتمام يُفضيان إلى التوكيد أيضًا.

ونشير إلى أنّ القدماء لم يُفرّقوا بين ضروب التفريع كما فعلنا، وكان أقصى ما فعله بعضهم أن جعله في ضربين: النفي والجحود، وغير النفي والجحود، وحكمَ ابن أبي الأصبع على أنّ التّفريعَ الذي لا يكون من قبيل (النّفي والجحود) مختصٌّ بمعاني النّفس دون معاني البديع، ولعلّ عدم الاهتداء إلى حدود تلك الضروب كان وراء ذلك الحكم.

القاعدة:

- اقتران المعاني يكون مُحدَّدًا بارزًا في الفنون الثلاثة الأولى، وغيرَ محدَّدٍ أو بارزٍ في الثلاثةِ الأخرى:

– في (تأكيد المدح بما يُشبه الذّمّ) يكون الاقترانُ والامتزاجُ بين المدح والذّمّ، والمدحُ هو المُرادُ، وفي (تأكيد الذّمّ بما يُشبه المدح) يكون الاقترانُ والامتزاجُ بين الذّمّ والمدح، والذّمُّ هو المُرادُ، وفي (الهَزْل الذي يُراد به الجِدّ) يكون الاقترانُ والامتزاجُ بين الهزل والجِدّ، والجِدُّ هو المُرادُ.

– في (الاستتباع) يكون الاقترانُ والتّجاورُ بين معنيَينِ منفصلَينِ يجتمعانِ للدلالة على الصفة ذاتها بهدف التوكيد، في (الإدماج) يكون الاقترانُ والتّجاورُ بين معنيَينِ: أصليّ مُراد، وفرعيّ مُضمَّن في الأصليّ وتابع له. في (التّفريع) يكون الاقترانُ والتّجاورُ بين معنيَينِ متّصلَينِ يجتمعانِ للدلالة على الصفة ذاتها بهدف التوكيد وتمام الوصف، ويكون الثاني فرع عن الأوّل.

أسئلة المستوى الثاني

7. أذكرُ فنون اقتران المعاني التي أعرفها مع مثالٍ لكلّ نوع.

- ....
- ....
- ....
- ....
- ....
- ....

8. أختارُ الإجابة الصحيحة

- في الآية: {فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى* ولَكِنْ كَذَّبَ وتَوَلَّى}

نوع الفنّ البديعيّ:

A تأكيد المدح بما يشبه الذم	B تأكيد الذم بما يشبه المدح	C إدماج	D تفريع

- في البيت: نَفضَ العاشقونَ ما صَنعَ الهَجـ...ـرُ بألوانِهمْ على وَرَقِهْ

نوع الفنّ البديعيّ:

A استتباع	B إدماج	C تفريع	D تناسب

9. أذكرُ المعاني المقترنة في الفنون الثلاثة الأولى من هذا المستوى

- ....



المستوى الثالث: التّغيير

1. تغيير الضّمير (التنبيه)

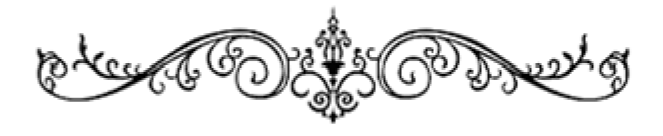
(الالتفات والاستخدام)

2. تغيير الرأي (الإقناع)

(حسن التّعليل والمبالغة وتجاهل العارف والمذهب الكلاميّ)

3. تغيير المقصد (التمويه أو الإرشاد)

(التّورية والتّوجيه والأسلوب الحكيم)



الفنّ الأوّل: تغيير الضّمير

يقوم هذا الفنُّ على فكرة تغيير الضمير لغرض التّنبيه، فيكون صاحبُهُ هو نفسَهُ لفظًا ومعنى تارةً، ويُدعى حينئذٍ (الالتفات)، وقد يكون صاحبُهُ هو نفسَهُ لفظًا لا معنى، فنكون أمام فنّ (الاستخدام).

1- الالتفات

يحدث الالتفات بتغيير الضّمير من الغيبة إلى الخطاب أو العكس غالبًا، والغاية منه التنبيه، ومن أمثلته:

- {الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ* الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ* إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة2-4] الالتفات من (إيّاه) إلى (إيّاك) وبلاغته في مناسبة ضمير الخطاب مقام العبودية الذي هو أرفع من مقام الحمد الذي استُخدِمَ معه ضمير الغيبة.
- {حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ} [يونس22]. الالتفات من (بكم) إلى (بهم)، لشدّ انتباههم، وأنّ ذلك أشدُّ في التقريع عليهم.
- {وَسَقاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً، إنَّ هذا كَانَ لَكُمْ جَزَاء} [الإنسان21،22]. الالتفات من (لهم) إلى (لكم). وهذا أشدّ تشويقًا وإفجاءً لهم.
- {وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا* لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا} [مريم88،89]. الالتفات من (جاؤوا) إلى (جِئتُم) فيه مواجهة تبيّنُ عظيم افترائهم.
- {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ، وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ} [الأنبياء92،93]. الالتفات من (وتقطّعتُم) إلى (وتقطّعوا). كأنّه ينعي

عليهم ما أفسدوه إلى قوم آخرين، وهو يشبه غرض الالتفات السّابق في (جرينَ بهم).

- وأَنجدْتُمُ مِن بَعدِ إتْهامِ دارِكُمْ   فيا دمعُ أَنجدْني على ساكِني نجْدِ
- يا دارَ مَيَّةَ بالعلياءِ فالسَّندِ   أقوتْ وطالَ عليها سالفُ الأمدِ
- شَطَّتْ مَزَارُ العَاشِقِينَ، فَأَصْبَحَتْ   عَسِراً عَلَيَّ طِلاَبُكِ ابْنَةَ مَخْرَمِ.

وقد يكون الالتفات في غير باب تغيير الضمير، فتكون له **وجوه أخرى** مثل:

أ- الالتفات في الزمن (التنبيه)

- {قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [الأعراف29].

ب- الالتفات في العبارة (الاعتراض):

ودِدْتُ ولم أُخلَقْ من الطّيرِ   أنّني أُعارُ جناحَي طائرٍ فأطيرُ

في الالتفات دلالة على شدّة تمنّي الطّيران. ومنه (التَّتميم):

فسقى ديارَكِ غيرَ مفسدِها   صوبُ الرّبيعِ وديمةٌ تهمي

ج- والالتفات في الموضوع(الاستطراد):

أتنسى إذ تُودِّعُنا سُليمى   بعودِ بشامةٍ سُقِيَ البشامُ

ألا تراه مقبلًا على شعره إذا به التفتَ إلى البشام فدعا له.

د- الالتفات في العدد (التخصيص أو التعميم):

{وَأَوْحَيْنا إِلى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءا لِقَوْمِكُما بِمِصْرَ بُيُوتاً وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً}[يونس87] الالتفات في (اجعلوا) يجعل الأمر يعمُّ موسى وأخاه وقومه.

مُناقشة

يفيد الالتفات في كلّ وجوهه معنًى عامًّا هو التنبيه، وقد يحمل مع ذلك معانيَ أخرى يكشفُ عنها المقام والسّياق على نحو ما رأينا، ويشير أهل اللغة والبلاغة إلى أنّ الالتفات من أساليب العرب التي تتّبعُها في كلامها، ونشير إلى أنّه دُرِس كثيرًا في باب مخالفة مُقتضى الظاهر، وفي أبواب فقه اللغة وأساليبها.

2- الاستخدام

الاستخدام ثاني ضروبِ تغيير الضمير للتّنبيه، **ويرجعُ الضميرُ فيه إلى لفظ صاحبه دون معناه**، وهو شبيهٌ بالمشاكلة، إلّا أنّها تكون بإعادة اللفظ لا الضمير، وعَوْدُ الضميرِ قد يكون إلى اللفظ حقيقةً، وقد يكون مجازًا فيكتسب حينها قيمةً جماليّةً إضافيّةً. ومن أمثلة الاستخدام:

- {فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ} [البقرة185]، المعنى من شهدَ هلال شهر رمضان فليصم أيّامه.

- إذا نزلَ السّماءُ بأرضِ قومٍ   رعيناهُ وإنْ كانوا غِضابا

أراد بالسّماء الغيثَ، وبالضمير النّبتَ.

- فسقى الغَضَا والساكنِيهِ وإنْ هُمُ   شَبُّوه بينَ جوانحٍ وضلوعِ

أراد بضمير الغضا في "والساكنيه" المكان، وفي "شبّوه" الشجر.

- تَاللّهِ مَا ذُكِرَ العَقيقُ وأهلُهُ   إلاّ وأَجْراهُ الغَرامُ بِمِحْجَرِي

أراد بلفظ "العقيق" واديًا في المدينة المنورة، وأعاد الضمير عليه بمعنى "الدَّمع الذي صارَ دمًا" فأشْبَهَ حجرَ العقيق الأحمر.

- كَمْ صافحَتْ يَدُهُ عندَ اللِّقاءِ يَدي   ومُهْجَتِي بجَزيلِ الحمدِ تَلقاها

المقصود بعبارة "يَدُهُ" عُضْوُهُ من جسده، وأُعيدَ الضّمير عليها بعبارة "تلقاها" على معنى اليد المجازيّ أي: إنعامه وعطاياه.



الفنّ الثّاني: تغيير الرّأي

يقوم هذا الفنّ على فكرة تغيير رأي المُخاطَب بهدف إقناعه، وله وسائلُ فنّيّةٌ مثل؛ (حسن التّعليل) و(المبالغة) و(تجاهل العارف)، ووسائلُ منطقيّةٌ؛ مثل (المذهب الكلاميّ).

1- حسن التعليل

حسن التعليل هو أن نجعل لأمر ما علّة فنّيّة غير حقيقيّة ولا منطقيّة لغرض الإقناع والتأثير الفنّيّ.

الأمثلة:

- أخطأ الأميرُ صيّدَ الحمامة إحسانًا إليها
- تلوّنت أزهار الربيع فرحًا بمجيء ليلى
- تساقطت أوراق الأشجار لأنها حزينة على رحيل الأحبّة

- في المثال الأوّل علّة (سبب) الخطأ في الصيّد هي الإحسان إلى الحمامة، وهي علّة غير حقيقيّة ولا منطقيّة. فالسؤال: لماذا أخطأ الأمير صيّد الحمامة؟ الجواب: إحسانًا إليها.
- في المثال الثاني علّة (سبب) ألوان الأزهار هي الفرح بمجيء ليلى، وهي علّة غير حقيقيّة ولا منطقيّة. فالسؤال: لماذا تلوّنت أزهار الربيع؟ الجواب: فرحًا بمجيء ليلى.

○ في المثال الثالث علّة (سبب) تساقط ورق الشجر هي الحزن على رحيل الأحبّة، وهي علّة غير حقيقيّة ولا منطقيّة. فالسؤال: لماذا تساقطت أوراق الأشجار؟ الجواب: لأنها حزينة على رحيل الأحبّة.

ملاحظة: حسن التعليل أسلوب فنّيّ يعتمد على الكذب الفنّي لذلك لا يوجد أمثلة له من القرآن الكريم

القاعدة:

- **حسن التعليل هو أن نجعل لأمر ما علّة فنّيّة غير حقيقيّة ولا منطقيّة.**
- **حسن التعليل أسلوب فنّيّ يعتمد على الكذب الفنّي لذلك لا يوجد أمثلة له من القرآن الكريم**

- أمثلة للتمرين:

1. أيا شجرَ الخابورِ ما لكَ مورقًا كأنّك لم تجزعْ على ابنِ طريفِ
2. لو لم تكنْ نيّةُ الجوزاءِ خدمتَهُ لمَا رأيتَ عليها عقدَ مُنتطِقِ
3. وما اسودّ حبرٌ في الدواةِ بلونه ولكنّهُ حزنٌ كظيمٌ مؤبّدُ
4. وما حنتِ الأيّامُ ظهري وإنّما أردتُ التقاطَ الرزقِ وهو عناءُ
5. إن تكنْ شابتِ الذوائبُ منّي فالليالي تزينُها الأقمارُ
6. كأنَّ السحابَ الغرَّ غيّبنَ تحتها حبيبًا فما ترقا لهنَّ مدامعُ (ترقأ- تنقطع)
7. لمْ تَحكِ نائلَكَ السَّحابُ وإنَّما حُمَّتْ بهِ فصبيبُها الرُّحَضَاءُ (الرُّحَضَاءِ-عَرَق الْحُمَّى)
8. لا تُنكِري عَطَلَ الكَريمِ مِن الغِنى فالسَّيلُ حَربٌ للمكانِ العالي

9. وإنّي لَأَستغْشي وما بيَ نَعْسةٌ   لعلَّ خَيَالًا مِنكِ يَلقَى خَيَاليا
10. أمَّا ذُكَاءُ فَلَمْ تَصْفَرَّ إذْ جَنَحَتْ   طَبْعاً وَلَكِنْ تَعَدَّاكُمْ مِنَ الخَجَلِ (ذُكاء- الشّمس)

- في البيت (1) عِلّةُ إيراق الشجر أنّه لم يجزع على ابن طريف، وفي (2) عِلّةُ انتطاق نجم الجوزاء هي خِدمةُ الممدوح، وفي (3) عِلّةُ اسوداد الحِبر هي الحزن الكظيم المؤبّد، وفي (4) عِلّةُ انحناء ظهر الشاعر هي عناؤه في التقاط الرزق، وفي (5) عِلّةُ الشيب التزيين كما تُزَيِّنُ الأقمارُ الليالي، وفي (6) عِلّةُ استمرار المطر هي البكاء على الحبيب والسُّقيا له، وفي (7) عِلّةُ المطر أنّ السحابَ أُصيبَ بحمّى عجزِهِ عن مداراة كرم الممدوح فتعرَّقَ مَطرًا، وفي (8) عِلّةُ عدم غِنى الشّاعر أنّه كالمكان العالي الذي لا يبلُغُهُ السَّيلُ الذي شُبِّهَ المالُ به، وفي (9) عِلّةُ تناعس الشاعر هي أنّه يريد أن يرى خيالَ محبوبته في أحلام منامه، وفي (10) عِلّةُ اصفرار الشمس (ذُكاء) هي أنّها خجلتْ إذ تعدَّتكم، أو أنّها أُصيبَتْ بعدوى الخجل منكم.

مُناقشة

حسن التعليل من الفنون البديعيّة الأدبيّة التي تقوم على ما يُسمَّى الكذب الفنّيّ أو التخييل والمبالغة، وهو يتمثّل في إيجاد علّة لحدثٍ قد لا يحتاجُ إلى علّة أو تفسير أصلًا كتعليل نزول المطر الذي كثُر الاتّكاء عليه في هذا الفنّ، وهو يهدف إلى الإقناع الفنّيّ الشعوريّ، وقد يتّحد هذا الفنّ مع فنّ التشبيه (التشبيه الضمنيّ) فيكتسب قيمةً جماليّةً إضافيّةً كما في تعليل شيب الذوائب وعَطَل الكريم من الغِنى في بيتين سابقين، ويظهر ارتباط هذا الفنّ بالتعبير عن أغراض الشكوى أو الحزن، والغزل، والمديح، وثمّة أسلوب في استخدام حسن التعليل يتأسّسُ على التخفيف من حدّة المبالغة والكذب، ولا يخلو من التخييل، وذلك باعتماد أدوات الشكّ أو المقاربة مثل (كأنّ) في البيت:

كأنَّ السحابَ الغُرَّ غيّبنَ تحتها   حبيبًا فما ترقا لهنَّ مدامعُ.

2- المبالغة

المبالغة هي وصف أمر ما وصفًا ممكنًا بعيدًا (مُستَبْعَدًا) ويُدعى (الإغراق)، أو غيرَ ممكنٍ (مستحيلًا) ويُدعى (الغلوّ).

الأمثلة:

- حصانٌ يسبقُ الريحَ
- تكادُ الأزهارُ تطلعُ من خدَّيكِ
- أمسكتُ البحرَ بيدي
  - في المثال الأوّل المبالغة ممكنة لكن بعيدة
  - في المثال الثاني المبالغة مستحيلة لكن الفعل (تكاد) جعلها ممكنة بعيدة
  - في المثال الثالث المبالغة مستحيلة

أقسام المبالغة: ← المبالغة الممكنة البعيدة

← المبالغة المستحيلة

ملاحظة: توجد أدوات وأفعال تجعل المبالغة المستحيلة ممكنة بعيدة، وهي: (كاد، كأنّ، لو، لولا)

القاعدة:

- المبالغة هي وصف أمر ما وصفًا ممكنًا لكن بعيدًا، أو مستحيلًا
- المبالغة قسمان: المُستبعَدَة (الإغراق)، والمستحيلة (الغلوّ)
- توجد أدوات وأفعال تجعل المبالغة المستحيلة ممكنة بعيدة، وهي: (كاد، كأنّ، لو، لولا)

ملاحظة: المبالغة الممكنة البعيدة تكثر في القرآن، والمستحيلة تكثر في الشعر.

- أمثلة للتمرين:

1. قال تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ} [البقرة20].
2. قال تعالى: {إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا [النور40].
3. قال تعالى: {يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ} [النور35].
4. قال تعالى: {أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ...} [النور: 40]
5. فلولا الريحُ أُسمعُ من بحِجْرٍ صليلَ البيضِ تقرعُ بالذكور
6. وأخفْتَ أهلَ الشرْكِ حتّى إنهُ لتخافُك النُّطفُ التي لم تُخْلَقِ
7. تغطّيتُ من دَهري بظلِّ جناحِهِ فعيني ترى دَهري وليسَ يراني
8. لو كانَ يقعدُ فوقَ الشَّمسِ من كرمٍ قومٌ بأحسابِهم أو مجدِهم قَعدوا
9. وعجبْتُ من أرضٍ سَحابُ أكفِّهم من فوقِها وصخورُها لا تُورِقُ
10. كفَى بجسمِي نُحُولًا أنّني رَجلٌ لولا محادثتي إيّاك لم ترَني
11. يدعونَ عنترَ والرِّماحُ كأنّها أشطانُ بئرٍ في لِبانِ الأدهمِ (أشطان- حبال)
12. أتاكَ الربيعُ الطَّلْقُ يختالُ ضاحكًا من الحُسْنِ حتّى كادَ أن يتكلّما
13. يا من تقطّعَ خَصْرهُ من رِقّةٍ ما بالُ قلبِكَ لا يكونُ رقيقا
14. ومرَّ بفكرِي خاطرًا فجرحْتُهُ ولمْ أرَ خلقًا قطُّ يجرَحُهُ الفِكرُ
15. تكادُ يدي تَندَى إذا ما لمَسْتُها ويَنبتُ في أطرافِها الورقُ النَّضْرُ
16. إذا ما سابقتْها الريحُ فرّتْ وألقتْ في يدِ الريحِ التُّرابا

- نرتّب الأمثلة السابقة في الجدول الآتي بحسب نوع المبالغة فيها

المبالغة الممكنة البعيدة	المبالغة المستحيلة المخفّفة إلى الممكنة	المبالغة المستحيلة
16-4	15-12-11-8-5-3-2-1	14-13-10-9-7-6

مُناقشة

رأينا أن نقسّم المبالغة تقسيمًا معنويًا بحسب الإمكان أو الاستحالة، وأن نجعل بينهما ما يقرّب المستحيل إلى الإمكان مّما يدخل عليه أدوات الشكّ أو المقاربة مثل: «قد» للاحتمال، و «لو» و «لولا» للامتناع، و«كأنّ» للتشبيه، و«كاد» للمقاربة، وما أشبه ذلك. في حين قسّم البلاغيّون المبالغة إلى ثلاثة أقسام باعتبار أكثر تفصيلًا هو:

- التبليغ وهو الوصف الممكن عقلًا وعادةً، كوصف قوّة الفرس:

وَأَصْرَعُ أَيَّ الْوَحْشِ قَفَّيْتُهُ بِهِ   وَأَنْزِلُ عَنْهُ مِثْلَهُ حِينَ أَرْكَبُ

- الإغراق وهو الوصف الممكن عقلًا لا عادةً، كقول الشاعر:

مِنَ القاصراتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحْوِلٌ   مِنَ الذَّرِّ فوقَ الإتْبِ مِنْهَا لأَثَّرا

(مُحول- صغير. الذّرّ- النمل. الإتْبُ- دِرْعُ المرأة).

- الغلوّ وهو الوصف غير الممكن عقلًا ولا عادةً، كما في البيت:

وأخفْتَ أهلَ الشرْكِ حتّى إنهُ   لتخافُك النُّطفُ التي لم تُخْلَقِ

دار خلافٌ عريضٌ بين البلاغيين والنقّاد حول قبولِ المبالغة بمعناها العامّ وردِّها، وقد كان لها أثر كبير في انقسام النقد العربيّ بين مدرستّينِ هما: الطبع، والصنعة. وثمّة شروط اشترطها بعضهم للمبالغة المقبولة منها:

- أنْ تكونَ المبالغةُ في موقف الهَزْلِ لا الجَدّ، كما في البيت:

– أَسْكَرُ بالأَمْسِ إنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّرْ ... بِ غَداً. إنَّ ذَا مِنَ الْعَجَبِ

- أنْ تقعَ في موقفِ شدّةَ التأثّر وصحّة التأثّر، كما في البيت:

– مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ معًا   كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

– كُنّا جِبالًا في الجبالِ وربّما   سِرنا على موجِ البحارِ بحارا

- أنْ تقترنَ بألفاظٍ تُقرّبُها من صحّة الدّلالة مثل (كاد)، مثل:

– تكادُ يدي تَندَى إذا ما لمَسْتُها   ويَنبُتُ في أطرافِها الورقُ الخضرُ

- أن تكونَ من قبيلِ التخييل الحسن، مثل:

– يُخَيَّلُ لي أَنْ سُمِّرَ الشُّهْبُ في الدُّجَى   وشُدَّتْ بأَهْدَابِي إلَيْهِنَّ أجْفَانِي

وشاع بينهم مقولة (أعذبُ الشِّعر أكذبُهُ)،وقيل هو مذهب اليونان، وقد جعل شعراء الصنعة المولّدون المبالغةَ مذهبًا يسيرون عليه في شعرهم.

إنّ المبالغة شأنها شأن حسن التّعليل تهدف إلى الإقناع الفنّيّ الشعوريّ، وإلى التأثير في نظرة المتلقي إلى الأوصاف وتغييرها بإخراج تلك الأوصاف من واقعها بما تُحدِثُهُ من مفارقة وانزياح.

3- تجاهل العارف

وهو أن نسأل عن شيء نعرفه لغايةٍ ما؛ مثل: من أنا؟ حين أسأل نفسي للحساب والمُراجعة مثلًا.

الأمثلة:

- هل ينزلُ المطر، ونحن في تمّوز؟!
- هل تركتَ الصلاة؟

– في المثال الأوّل السائل يعرف أن المطر ينزل، لكنّه يسأل تعجّبًا

– في المثال الثاني السائل يعرف أنّ صديقه ترك الصلاة، لكنّه يسأل توبيخًا

ملاحظة: أسباب وغايات التجاهل كثيرة لا يمكن حصرها مثل: الخوف والحزن والغضب والتعجّب.

القاعدة:

- تجاهل العارف هو السؤال عن شيء معروف لغايةٍ أو سببٍ ما
- أسباب التجاهل كثيرة مثل: الخوف والحزن والغضب والتعجّب

- أمثلة للتمرين:

1. {وَمَا تِلكَ بيمينِكَ يا موسى} [طه: 17].

- سبب السؤال هو الأنس والمحبّة

2. {أَأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتَّخِذوني وأُمّي إلهَينِ من دُونِ الله}[المائدة: 116].

- سبب السؤال هو الإنكار على الكافرين وتقرير ألوهية الله وحده لا شريك له

3. {أَفأنتَ تَهدي العُميَ وَلَو كَانوا لا يُبْصِرونَ}[يونس: 43].

- سبب السؤال هو تنبيه النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على استحالة هداية المشركين

4. {هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ:7]

- سبب السؤال والتجاهل هو التحقير حكاية عن الكفار

5. {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}[سبأ: 24]

- سبب السؤال والتجاهل هو التعريض

6. {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى}[طه: 17]

- سبب السؤال والتجاهل هو الإيناس؛ لأنّ المقام مقام هيبة ورهبة

7. ألمعُ برقٍ سرى أم ضوءُ مصباحِ   أمِ ابتسامتُها بالمنظرِ الضاحي؟

- سبب السؤال والتجاهل هو المبالغة في وصف الابتسامة المشرقة

8. فما أدري ولستُ إخالُ أدري   أقومٌ آلُ حِصْنٍ أم نساءُ؟

- سبب السؤال والتجاهل هو المبالغة في ذمّ آل حصنٍ

9. باللّه يا ظَبَيَاتِ القاعِ قلنَ لنا   ليلايَ منكنَّ أم ليلى من البشرِ؟

- سبب السؤال والتجاهل هو العشق والتغزّل بليلى

10. أثَغْرٌ ما أرى أم أُقحوانُ   وقَدٌّ ما بدا أم خَيْزُرانُ

وطَرْفٌ ما تقلّبَ أم حُسامٌ   ولَفظٌ ما تساقطَ أم جُمانُ

وشَوقٌ ما أُكابِدُ أم حريقٌ   وليلٌ ما أُقاسي أم زمانُ

- سبب السؤال والتجاهل هو العشق والتغزّل

11. قذًى بعينِكِ أم بالعينِ عُوّارُ   أم ذرّفتْ إذ خلتْ من أهلِها الدَّارُ

- سبب السؤال والتجاهل هو الحزن والرثاء

12. *فيا ربّاه عفوكَ ليس كفرًا   أحقًّا خَلْقُها طينٌ وماءُ

- سبب السؤال والتجاهل هو العشق والتغزّل

13. أيا شجرَ الخابورِ ما لكَ مُورِقًا   كأنَّكَ لم تجزعْ على ابنِ طريفِ

- سبب السؤال والتجاهل هو الحزن والثَّكَل

14. ما لي أرى الشمعَ يبكي في مواقدِهِ   من حرقةِ النارِ أم من فرقةِ العسلِ؟

- سبب السؤال والتجاهل هو التعجّب والحزن

ملاحظة: هذا البيت الأخير فيه الفنون الآتية: (مذهب كلامي)، و(حسن تعليل)، و(تجاهل العارف) و(جناس ناقص).

4- المذهب الكلاميّ

المذهب الكلاميّ هو أن نجعل لأمر ما علّة حقيقيّة منطقيّة؛ مثل: نبت الزرع بسبب الماء.

الأمثلة:

- الطائر مكسور الجناح لا يطير
- الأثر يدلّ على المسير
- ضوء النهار سببه الشمس
  - انكسار الجناح هو علّة (سبب) عدم الطيران
  - وجود الأثر هو علّة (سبب) الدلالة على المسير
  - الشمس هي علّة (سبب) وجود الضوء في النهار

ملاحظة: المذهب الكلاميّ يكثر استخدامه في القرآن الكريم، ويقلّ استخدامه في الشعر.

القاعدة:

- المذهب الكلاميّ هو أن نجعل لأمر ما علّة حقيقيّة منطقيّة.
- المذهب الكلاميّ يكثر استخدامه في القرآن الكريم ، ويقلّ في الشعر
- المذهب الكلاميّ من أساليب المناظرة والإقناع

- أمثلة للتمرين:

1- {لَوْكَانَ فِيْهِمَا آلِهَةٌ إلّا اللّهُ لفَسَدَتا} [الأنبياء22]

لو كان في السماوات والأرض آلهة غير الله لفسدتا؛ لأن الآلهة ستختلف فيما بينها

2- {وهوَ الذي يَبدَأُ الخلقَ ثمّ يُعيدُه وهو أَهونُ عليه} [الرّوم27]

إعادة الخلق أهون بحسب العقل من بدء الخلق، لذلك فالميعاد والنشر والحشر أمر واقع لا محالة.

3- { إنّ مَثَلَ عِيْسَى عِنْدَ اللهِ كمَثَلِ آدمَ خلقَه من تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُوْنُ} [آل عمران59]

لا تعجبوا من خلق عيسى بغير أب، فخلق آدم من تراب أعجب.

4- قال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: (لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا، ولبكيتم كثيرًا)

هم لا يعلمون ما يعلمه النبيّ لذلك لا يضحكون قليلًا ولا يبكون كثيرًا.

5- حكاية مناظرة: قال رجلٌ ملحدٌ لرجلٍ مؤمنٍ: ما شعورُك حين تكتشفُ بعد كلّ عباداتك أنّ الجنّةَ والنارَ كذبةٌ، فأجابه: ليس أسوأَ من شعورك حين تكتشفُ أنهما حقيقة.

6- {الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} [الرّحمن5]

الشمس لحساب الأيام، والقمر لحساب الشهور.

7- لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ ما كان يُعرفُ طيبُ عُرْفِ العودِ

النار مع ضررها هي التي كشفت الرائحة الطيّبة للعود

8- وإن تفقِ الأنامَ وأنتَ منهم فإنّ المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

الممدوح يتفوّق على الناس وهو منهم، كذلك المسك من دم الغزال لكنه يتميّز عنه؛ أي: عن الدّم ويفضُلُهُ.

9- فإذا أرادَ اللّهُ نشرَ فضيلةٍ طُويَتْ أتاحَ لها لسانَ حسودِ

الفضيلة أو العمل الصالح أو المنحة تنتشر بين الناس إذا علم بها الحسود؛ لأنها تؤرّقه فلا يصبر على كتمها.

10- ما لي أرى الشمعَ يبكي في مواقدِهِ من حرقةِ النارِ أم من فرقةِ العسلِ

البيت فيه (مذهب كلاميّ) من حرقة النار، وفيه (حسن تعليل) من فرقة العسل.

مُناقشة

المذهب الكلاميّ يهدف إلى الإقناع العقليّ، وإلى إكساب المعرفة، ولا يدخل الجانب الشّعوريّ فيه. وهو أصلٌ في أسلوب الحِجاج القرآنيّ؛ لأنّه يقوم على حِجج منطقيّة تخاطب العقل، ونلحط كما في الأمثلة أنّ الشّعرَ يفتقرُ إلى هذا الفنّ، وأنّ القرآن الكريم يكتنزُ به، لأنّ الشعر خطاب شعوريّ تخييليّ في الغالب، والقرآن الكريم خطاب عقلي في الغالب، وذلك يتبعُ مقاصدَ كلٍّ من الخطابَين والغاية التي يسيرانِ إليها، وقد نجد ضربًا من الشّعر يتّكئ على هذا الفنّ هو شعر الحكمة لمّا كان خطابه عقليًّا.

الفنّ الثّالث: تغيير المقصد

يقوم هذا الفنّ على تغيير المقصد، بهدف التمويه أو الإرشاد، ويكون ذلك

- **بالتعبير بكلمة عن مقصد معيّن، ويكون المقصود غيره (التّورية).**
- **بالتعبير بتركيب عن مقصد معيّن، ويكون المقصود غيره (التّوجيه).**
- **بالإجابة بمقصد يختلف عن مقصد السؤال (تجاهل العارف).**

1- التّورية

التّورية تعني الإخفاء والستر، وهي تقوم على لفظة لها معنيان: ظاهر مفهوم، وغير ظاهر مقصود، وتكون الغاية من استخدامها التّمويه.

الأمثلة:

1- إذا عاش الرجل فهو حيٌّ، وإذا عاشت المرأة فهي حيّة.

لفظة (حيّة) لها معنيان: ← ظاهر مفهوم هو المرأة التي تحيا وتعيش
← وغير ظاهر مقصود هو الأفعى

2- إذا أصاب الرجل فهو مُصِيبٌ، وإذا أصابت المرأة فهي مُصِيبةٌ.

لفظة (مُصِيبة) لها معنيان: ← ظاهر مفهوم هو المرأة التي تكون على حقّ
← وغير ظاهر مقصود هو المصيبة بمعنى البلاء

أسباب التّورية: يوجد أربعة أسباب شهيرة للتورية: الـمُزاح، والخوف، والهجاء، والعشق. ويوجد غيرها

القاعدة:

- التورية تعني الإخفاء والستر.
- التورية لفظ له معنيان: ظاهر مفهوم، وغير ظاهر مقصود.
- أسباب التّورية: الـمُزاح، والخوف، والهجاء، والعشق
- التورية من أساليب إخفاء المعنى وتمويهه

أمثلة التّورية وأسبابها:

1- التورية بسبب **الـمُزاح**:

- المثالان السابقان (حيّة) و(مصيبة) من الـمُزاح.
- ومن الـمُزاح قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للمرأة العجوز:

(لا تدخل الجنّة عجوز)

لفظة (عجوز) لها معنيان:

– ظاهر مفهوم هو المرأة العجوز التي تكلّمت مع النبيّ
– وغير ظاهر مقصود، وهو العمر الذي تكون عليه كل عجوز حين تدخل الجنّة

- ومن الـمُزاح قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم للمرأة التي تسأل عن زوجها: (زوجُكِ الذي في عينه بياضٌ؟)

لفظة (بياض) لها معنيان:

– ظاهر مفهوم هو أنّ الرجل أعمى وعينه بيضاء
– وغير ظاهر مقصود، أن كل عين فيها بياض وسواد

- ومن الـمُزاح قول أحدهم: أحبُّ الفتنةَ، وأكرهُ الحقَّ، وأصلّي بغيرِ وضوءٍ، ولي في الأرضِ ما ليسَ للهِ في السماءِ.

لفظة (الفتنة) لها معنيان:

– ظاهر مفهوم هو الشرّ
– وغير ظاهر مقصود، وهو الأموال والأولاد {إنّما أموالكُم وأولادُكم فتنة}

لفظة (الحقّ) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم هو الحقّ المعروف ضد الباطل
- وغير ظاهر مقصود، وهو الموت

لفظة (أصلّي) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم هو الصلاة ذات الركوع والسجود
- وغير ظاهر مقصود، الصلاة على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم

لفظة (ليس للّه) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم هو أنه يملك شيئًا لا يملكه اللّه
- وغير ظاهر مقصود، وهو الزوجة والولد {ما اتّخذ صاحبةً ولا ولدًا}

2- التورية بسبب **الخوف**:

- خاف أبو بكر رضي الله عنه على النبيّ صلّى الله عليه وسلّم من المشركين، فلقيه قوم يسألونه: من أين أنتم؟ فقال: من ماء. وسألوه: من معك؟ فقال: هادٍ يهديني السبيل.

لفظة (ماء) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم وهو مكان فيه ماء كالبحر أو النهر
- وغير ظاهر مقصود، وهو أصل الخلق {خُلقَ من مَاءٍ دَافِقٍ}

لفظة (السبيل) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم هو الطريق
- وغير ظاهر مقصود، وهو الإسلام

3- التورية بسبب الهجاء: (تكون في الأسماء غالبًا)

- ورَبُّ الشِّعر عندهمُ بغيضٌ ولو وافى به لهمُ حبيبُ

لفظة (حبيب) لها معنيان:

– ظاهر مفهوم، وهو العاشق

– وغير ظاهر مقصود، وهو الشاعر أبو تمّام حبيب بن أوس.

- قال حافظ إبراهيم:

يقولون إنّ الشوقَ نارٌ ولوعةٌ فما بالُ شوقي فيك أصبحَ باردا

- فقال أحمد شوقي:

فأودعتُ إنسانًا وكلبًا وديعةً فضيّعها الإنسانُ والكلبُ حافظُ

لفظة (شوقي) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم هو محبّتي
- وغير ظاهر مقصود، وهو اسم الشاعر

لفظة (حافظ) لها معنيان:

- ظاهر مفهوم، وهو مَن حفظ الوديعة أو الأمانة
- وغير ظاهر مقصود، وهو اسم الشاعر

4- التورية بسبب العشق:

- فقالتْ: رُحْ بربّكَ من أمامي فقلتُ لها: بربّكِ أنتِ روحي

- لفظة (روحي) لها معنيان:
- ظاهر مفهوم، وهو اذهبي، وغير ظاهر مقصود، وهو روحي.

- أيّها المعرضُ عنّا حسبُكَ الله تعالَ

لفظة (تعالَ) لها معنيان:

– ظاهر مفهوم، وهو تعالى الله يعني تعاظمَ وجلَّ
– وغير ظاهر مقصود، وهو أَقبِلْ.

- أمثلة للتمرين:

1. يا عاذلي فيهِ قلْ لي إذا بَدَا كيفَ يَسلو
   يَمرُّ بي كلَّ وقتٍ وكلّما مرَّ يحلو
2. رِفْقاً بخِلٍّ نَاصِحٍ أَبْلَيْتَهُ صَدّاً وهَجْرا
   وَافَاكَ سَائِلُ دَمْعِهِ فَرَدَدْتَهُ فِي الحَالِ نَهْرا
3. أقولُ وقد شنُّوا إلى الحربِ غارةً دعوني فإنّي آكلُ العيشَ بالجُبْنِ
4. قالتْ: إذا كنتَ تهوى وصلي وتخشى نفوري
   صِفْ وردَ خدّي وإلّا أجورُ. ناديتُ جوري
5. ومُولعٍ بفِخاخٍ يمدُّها وشِباكِ
6. قالتْ لي العينُ: ماذا يصيدُ؟ قلتُ: كراكِ

مُناقشة

قسّم البلاغيّون التّورية باعتبار أمارات الظهور والخفاء إلى:

- المُجرَّدة: وهي التي لم تقترن بما يلائم المعنيَينِ القريب والبعيد مثل: (أحبُّ الفتنةَ) بمعنى المال والأولاد؛ إذ لا أمارةَ على أيّهما المُراد.
- المُرشَّحة: وهي التي اقترنت بما يلائم المعنى القريب؛ مثل:

وصَاحِبٍ لمَّا أَتَاهُ الغِنَى تَاهَ ونَفْسُ الْمَرْءِ طَمَّاحَهْ

وَقيلَ: هَلْ أبْصَرْتَ مِنْهُ يدًا　　　تَشْكُرُها قُلْتُ ولا رَاحَهْ

فالتّورية في قوله (راحه) رشّح لفظ (يدًا) معناها القريب الذي هو راحة اليد، والمعنى البعيد غير الظاهر المقصود هو الراحة التي ضدّ التعب.

- المُبيَّنة: هي التي اقترنت بما يلائم المعنى البعيد مثل:

- يا مَن رآني بالهمومِ مُطوَّقًا　　　وظللْتُ مِن فقدي غصونًا في شجونْ

أتلومُني في عِظْمِ نوحي والبكا　　　شأنُ المُطوَّقِ أن ينوحَ على غصونْ

فالتورية في (المُطوَّق) و(غصون)، أُريدَ بهما غير معناهما في البيت الأوّل أي ليس هو (المُطوَّق)، وليست (غصون) حبيبته، بل المقصود الحمامة تنوح على غصون الأشجار، وذكر النوح والمطوّق وغصون كل ذلك بيّن أنّ المراد هو الحمامة، فهي مبيَّنة.

- المُهيَّأة: وهي التي اقترنتْ بما يلائم المعنيَينِ القريب والبعيد مثل:

- مَدَارسُ آياتٍ خَلتْ مِن تِلاوةٍ　　...　　ومَنزِلُ وَحيٍ مُقفرُ العَرَصاتِ

فالآياتُ تحتمل معنى الآثار بدلالة (مدارس وخلت ومنزل ومقفر والعرصات) عليها، وتحتمل معنى آيات القرآن بدلالة (تلاوة ووحي) عليها.

لاحظنا كيف أن أسلوب التّورية يمكن استثماره في المواقف المختلفة كالمُزاح والخوف والهجاء والغزل، وتوجد مواقفُ أخرى غير ما ذكرنا يمكن أن يخفيَ المتكلّمُ فيها مقصوده من غير أن يُنعتَ بالكذب الصريح، وهو أسلوب يجمع بينَ البُعدين الأسلوبيّ الجماليّ والتداوليّ النفعيّ.

2- التّوجيه

يقوم التّوجيه على احتمال التركيب معنيَين مُختلفَين، وفيه يموّه المُتكلّمُ مقصده ويخفيه، ومثاله:

- خاطَ لي عَمْرٌو قَباءْ   ليتَ عينَيهِ سواءْ

وعمرٌو أعور، فما ندري هل هو دعاءٌ له بأن تصير العمياء صحيحة، أو دعاء عليه بأن تكون الصحيحة عمياء؟ والتمويه متحصّل من التركيب، خلافًا للتورية التي تكون في المفردة.

القاعدة:

- التوجيه يقوم على تغيير المقصد والتمويه
- التوجيه يقوم على التمويه من خلال احتمال التركيب معنيَين لا يُعرَف أيُّهما المُراد إلّا بمعرفة قصد المتكلّم

الأمثلة:

- يا إمامَ الهُدى ظفرْ ... تَ ولكنْ ببنتِ مَنْ؟

لا يُعرفُ في قوله (ببنت مَن؟)، أهو ذمٌّ أم مدحٌ

- يا نبيَ الله في الشِّعرِ ويا عيسى بن مريمْ

أنتَ مِن أشعرِ خَلقِ الله ما لم تتكلَّمْ

البيتانِ قيلا في أبي تمّام وكانت فيه حُبسة، فلا يُعرف ذمٌّ أم مدح

- لي صاحبٌ أفديهِ مِن صاحبٍ   حلوُ التّأني حَسَنُ الإحتيالْ

لو شاءَ مِن رِقَّةِ ألفاظِهِ   أَلَّفَ ما بينَ الهدى والضّلالْ

فهل حُسْنُ الاحتيال صفة مدحٍ أو ذمٍّ، وهو في صاحبه المُفدَّى، وهو يجمعُ بين الهدى والضّلال.

- كلّما لاحَ وجهُهُ بمكانٍ كثرَتْ زحمةُ العُيونِ عليهِ

فهل كثرتها هي لرؤيةِ جمالِ وجهِهِ أو قبحِهِ؟

- من التوجيه قوله تعالى: {وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا} [النساء: 46].

يحتمل الذّمّ أيْ: لا سمعتَ، ويحتمل المدح أي: اسمعْ غير مُسمَعٍ مكروهًا، وهو كلام اليهود للنبيّ عليه الصلاة والسلام، فربّما يظهرون المدح ويُبطنون الذّمّ، فيؤخَذُ تفسير كلامهم على ذلك.

مُناقشة

التبسَ التّوجيه بالتورية عند كثير من البلاغيين، وأطلقوا التّوجيه على استعمال المصطلحات العلميّة في الشّعر، وضمّ بعضهم المدح بما يُشبه الذمّ إلى التّوجيه، والحقّ أنّ التوجيه يختلف عن التّورية في أنّه يكون في التركيب، والتّورية تكون في الكلمة كما بيّنا، واستعمال المصطلحات لا يعنينا في سياق حديثنا عن التّغيير بقصد التمويه، وكذلك المدح بما يُشبه الذمّ إلّا باعتبار تقطيع الكلام؛ لأنّ تمام الكلام يُظهِرُ القَصدَ ويبيّن الوجه المُراد، فإن قلتَ: (لا عيبَ فيهم غير أنّ).... تفهم أنّه ذمّ، ثم عند تمام الكلام: (غير أنّ سيوفهم بهنَّ فلولٌ من قِراعِ الكتائبِ). تبيّن أنّه مدحٌ.

والحقَّ أنّ التوجيهَ لا يكشف عن المعنى المُراد، وليس فيه معنى قريب أو بعيد كالتّورية، بل كلا المعنيين بعيد، لذلكَ فإنّ معرفةَ المُراد لا تتبيّن إلّا من المعرفة التداولية قصد المتكلّم وظروف الكلام وما إلى ذلك.

3- الأسلوب الحكيم

أسلوب الحكيم من أساليب تغيير المقصد بغرض التمويه أو بغرض الإرشاد، وهو الغالب فيه، فهو يختلف عن سابقاته من فنون تغيير المقصد بتغيّيهِ الإرشاد، ويُعرّف بأنه **تلقّي المُخاطَب بغير ما يترقّبهُ تمويهًا أو إرشادًا:**

(1) إمّا بترك سُؤاله: والإجابة عن سؤال لم يسأله كما في قوله تعالى:

- {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ} [البقرة189].

- سألَ بعضُ الصحابةِ النبيَّ عن حال الهلال مرّةً يدقُّ، ومرّةً يستدير، فكان الجواب بأهمَّ ممّا سألوا عنه، وهو أنّ تغيّر الأحوال لمعرفة المواقيت إشعارًا لهم أنّ هذا ما يجب أن يسألوا عنه، وأنّه هو ما ينفعهم.

(2) وإمّا بحمل كلام المتكلّم على غير ما كان يقصد ويريد، تنبيهًا إلى أنّه كان ينبغي له أن يسأل هذا السؤال، أو يقصد هذا المعنى كما في قول الحَجَّاج لابن القَبَعْثَرَى:

- لأحملنَّك على الأَدهم، فقال له: مِثْلُ الأمير يَحمِلُ على الأَدَهِمِ والأشهبِ، قال له الحَجَّاج: إنّه الحَديد. أي أنا أقصد بالأَدَهم القَيْد الحَديد، فقال له ابن القَبَعْثَرَى: لأنْ يكونَ حَديدًا خيرٌ من أن يكونَ بَليدًا. أي: لأنْ يكون الفَرَسُ ذا حِدّةٍ وقوّةٍ ونشاطٍ خيرٌ من أن يكونَ بليدًا فاترًا.

القاعدة

- الأسلوب الحكيم من أساليب تغيير المقصد أو الجواب
- يقوم على توظيف التوريّة بهدف التمويه، وتوظيف الحكمة بهدف الإرشاد

الأمثلة:

1. {يَسْألونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأقْرَبِينَ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ} [البقرة215].

2. أنتَ تشتكي عِندي مُزاولةَ القِرَى وقد رأتِ الضِّيفانَ يَنحُونَ مَنزِلي

فقلتُ كأنّي ما سَمِعْتُ كلامَها همُ الضّيفُ جِدّي في قِراهُم وعَجّلي

3. ولمّا نَعَى النَّاعي سَأَلْناهُ خَشْيَةً وللعَينِ خَوفَ البَيْنِ تَسْكَابُ أمطارِ

أجَابَ قضى: قُلنا قَضَى حَاجَةَ العُلا فقالَ مَضَى: قُلنا بكلِّ فَخَارِ

4. طَلَبْتُ مِنْهُ دِرْهَمًا يَوْمًا فأَظْهَرَ العَجَبْ

وَقَالَ: ذَا مِنْ فِضَّةٍ يُصْنَعُ لاَ مِنَ الذَّهِبْ

5. قَالَ: ثَقَّلْتُ إذْ أتَيْتُ مِرَارًا قُلْتُ: ثَقَّلْتَ كَاهِلي بالأَيَادِي

قالَ: طَوَّلْتُ. قُلْتُ: أَوْلَيْتَ طَوْلاً قَالَ: أَبْرَمْتُ. قُلْتُ: حَبْلَ وِدَادِي

- في المثال (1) كان السؤال عن ماهية ما يجب إنفاقه، وكان الجواب مغايرًا؛ إذ كان الجوابُ عن المُنفَق عليهم، وهو أولى بالمعرفة، وفي (2) يتجاهل الكريم دعوى امرأته أنّه يشكو الكرم والضيافة، ويأمرها أن تُكرم الضيوف وتُعجّل في ذلك صرفًا لها عمّا تقول، وفي (3) صُرِفَ معنى الفعل (قضى) أي مات إلى معنى آخر، وهو أنّه قضى حاجة العلا أي طلبتْهُ العلياء فلبّى، وكذلك صُرِفَ معنى الفعل (مضى) أي مات إلى معنى أنّه رحل بكلّ فخر وعزّة، وفي (4) صَرَفَ البخيلُ سؤالَ السائل أن يعطيه درهمًا إلى أمرٍ آخر، وهو الإخبار أنّ الدّرهم يُصنع من الفضّة لا من الذّهب، وفي (5) صرفَ المُخاطَب قول المتكلّم مُعتذِرًا (ثقّلتُ عليكَ) إلى معنى أنّه ثقّل عليه بالكرم والعطاء، وصرفَ قوله (طوّلتُ) أي الزيارة إلى معنى أنّه تفضّلَ عليه، وقوله (أبرمتُ) أي أضجرتُ إلى معنى إبرام حبل الوداد أي توثيق المودّة.

مُناقشة

الأسلوب الحكيم أوّل من سمّاه بهذا الاسم السّكّاكيُّ، وكان معروفًا عند الجاحظ في (البيان والتبيين) باسم (اللَّغز في الجواب)، ونذكر منه إيراده قصّة خالد بن الوليد رضي الله عنه إذ قال لأهل الحِيرة: "أَخرجوا إليَّ رَجُلًا من عقلائِكم أسألْهُ عن بعضِ الأمورِ. فأخرجوا إليهِ عبدَ المسيح بن عمرو الغسّانيّ، فقالَ له خالد: من أين أَقصى أثَرِكَ؟ قالَ من صُلْب أبي. قالَ: فمِن أينَ خرجْتَ؟ قالَ: مِن بطنِ أمِّي. قالَ: فعلامَ أنتَ؟ قالَ: على الأرضِ. قال: ففيمَ أنتَ؟ قال: في ثيابي. قال: ما سِنُّكَ؟ قالَ: عَظْمٌ. قالَ: أتَعْقِلُ، لا عَقِلْتَ؟ قالَ: أيْ والله وأُقيِّدُ. قالَ: ابنُ كمْ أنتَ؟ قالَ: ابنُ رجلٍ واحدٍ. قالَ: كمْ أتى عليكَ مِنَ الدّهرِ؟ فقالَ: لو أتى عليَّ شيءٌ لقتلَني. قالَ: ما تزيدُني مسألتُكَ إلّا غُمًّى؟ قالَ: ما أجبتُكَ إلّا عن مسألتِكَ..."، وكان هذا الفنّ معروفًا عند عبد القاهر الجرجانيّ باسم (المغالطة)، وأطلق هذا الاسم عليه حين ذكر جواب ابن القبعثرى على الحجّاج في المثال السابق.

الأسلوب الحكيم من أساليب الفطنة والذّكاء، وهو يقوم على تغيير المقصد أو تغيير السؤال بتغيير الجواب تمويهًا غالبًا ما يهدف إلى الإرشاد، فهو ذو بعد تداوليّ، وهو تغيير ينطوي على إفجاء المتلقّي فهو ذو بعد أسلوبيّ، ونرى أنّه يحمل غايات أخرى إضافة إلى غاية التمويه تتمثّل في التنبيه وفي الإقناع أيضًا إلّا أنّ التمويه أظهر فيه، ويقوم على توظيف التورية بهدف التمويه تارةً، وتوظيف الحكمة بهدف التوجيه تارةً أخرى.

قراءة سورة البلد بديعيًّا

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (١) وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ (١٠) فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ (١١) وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ (١٧) أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ (٢٠) ﴾

- **الاستضداد**: (لا أُقسمُ) نفيٌ يدلُّ على ضِدِّه وهو الإيجاب؛ أي أُقسِمُ، وقيل فيه غير ذلك، وهو من أساليب العرب؛ تنفي وتريد الإثبات، وفي ذلك توكيد مُضاعف يُقصَد إليه.
- **التكرار على سبيل إعادة الذِّكْر**: تكرّرَ لفظُ (البلد) مرّتَين، والمُرادُ به مكّةُ، وفي تكراره إفادة أنّه أصبحَ عَلَمًا على هذه المدينة، ونشير إلى ذِكْره في سورة التّين أيضًا {وهذا البلدِ الأمينِ}، وجاء في لسان العرب: "والبلدُ: مكةُ تفخيمًا لها كالنَّجْمِ للثُّرَيّا". وتكرّرُ لفظ (العقبة) فيه معنى التأكيد على عظمتها، وفيه مُراعاة جانب الفاصلة القرآنيّة، وتكرّرُ لفظ (تواصوا) فيه تأكيد أهميّة التواصي، وفيه أنّ إفراد كلٍّ من الصّبر والمَرحمة تأكيدٌ على أهمية كلٍّ منهما.

- **طِباق التَّضايف**: وهو بينَ والدٍ وولدٍ، إذا كانت (ما) موصولة، وقد يكون **طِباق سلب** إذا كانت (ما) نافية، وسرّ ذكر الوالد والولد، وذكر جذر (الولادة) للدلالة على استمرارية الحياة المناسبة لسياق السّورة، والله أعلم.
- **جِناس ناقص في نوع الحروف**: بينَ (ولد وبلد)، واختلاف نوع الحرف الأوّل مع تجانس الثاني والثالث يمنحُ اللّفظتَينِ جَرْسًا متقاربًا مع وجودهما في مكان الفاصلة، والكلام ينطبق على (عقبة ورقبة)، وعلى (مقربة ومتربة).
- **الاستتباع**: استُتبِعتِ الآيةُ (5) التي ذُكِرَ فيها لفظ القُدرة بالآية (6) التي ذُكِرَ فيه لفظُ الإهلاك.
- **المذهب الكلامي**: في الآيات (10،9،8)، وفيه حِجاجٌ للإنسان المُتكبِّر العاصي بأنّ اللّهَ منَّ عليه بكلّ تلك النّعم، ويسّر له سبل الهداية، وأنّ اللّهَ قادرٌ على سلب النّعم منه، أو أن يجعله يسلك نجْدَ الشرّ، فتكون عاقبتُهُ العذابَ.
- **مُراعاة النظير**: بينَ عينين ولسان وشفتين، وهي تنتمي لحقل واحد هو أعضاء الوجه إضافة إلى حقل النّعم العظيمة.
- **جمع وتفريق**: فاقتحام العقبة يتفرّق بين: فكّ الرّقبة، وإطعام اليتيم والمسكين.
- **ترادف:** بين اليتيم والمسكين ذي المتربة في احتياج كلٍّ منهما إلى الغير؛ فالأوّل لقصوره، والآخر لإترابه، وذلك كان وراء اقترانهما.
- **طِباق التضادّ:** بين الإطعام والمسغبة، وفيه أنّ الإطعام في يوم المسغبة له فضلٌ عظيم، يختلف عن الإطعام يوم الرّخاء.
- **طِباق تناقض:** بين (آمنوا وكفروا) وبين (أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة)
- **تفريع:** في الآيتَينِ (20،19) تفرّع عن ذِكرِ الكفر والمشئمة ذكرُ النار المؤصدة.

تذييل

تحدّثنا عن أغلب الفنون البديعيّة أو أهمّها وفق منظورَينِ هما: الاقتران والتغيير، وثمّة فنون أخرى يُنظَر إليها من زوايا نظر أخرى؛ مثل الجانب الصوتيّ كالفاصلة القرآنية، والسَّجْع، والتصريع، والموازنة وغيرها، وثمّة جوانب أخرى ترجِع إلى الشكل والتفنّن في نظم الشعر بخاصّة؛ مثل: تشابه الأطراف، والترديد، والتطريز، والتشريع وغيرها، ومنها ما يرجع إلى المعنى كالسرقة، والتوليد، والهدم، والتطويل، والتقصير، والتضمين والاقتباس وغيرها، وهي فنون بديعة غير أنّ قيمتها الفنّيّة تأتي تالية لما ذكرنا، ورأينا أنّ الخوض فيها خوضٌ في ما هو مُتكلّف أو ثانويّ، ثمّ إننا نرى أنّ الدراسة الصوتيّة تحتاج لدراسة خاصّة ليس البديع محلّها، وكذلك فنون بناء الشعر وتقسيمه يمكن أن يُجعَل لها باب خاصّ. أمّا الضرب الأخير ممّا ذكرنا ممّا يتعلّق بمعاني الشعر ففنونه أقرب إلى باب النقد منها إلى باب البديع وسنعمد إلى إيرادِ إلماحةٍ سريعةٍ فيها ذكر ما يبيّنُ هاتيكَ الفنون.

الفنون الصّوتيّة

الفنون الصّوتية يدخلُ فيها ما اصطلحَ له البلاغيّون اسمَ المُحسِّنات اللفظيّة، ومنها:

- **الفاصلة القرآنيّة**: وهي آخر الآي في سور القرآن الحكيم، ووجودُ الفاصلةِ سمةٌ بارزةٌ في القرآن، وهي قد تكون موحَّدة كما في سورة (الكوثر) على سبيل المِثال؛ إذ انتهت الآيات كُلُّها بحرف الراء، وقد تتنوّع في الحرفِ قُرْبَ مَخرجٍ أو بُعْدَهُ كما في سورة (ق) مثلًا، فلدينا (مجيد، عجيب، حفيظ، حريق، بهيج، مصير...)؛ على أنّ ما يُقرّب موسيقا الفاصلة هو وزن الكلمة (فعيل)، وقد تتنوّع السّورة في الفاصلةِ وزنِها وحَرفِها الأخير؛ نحو: سورة (القارِعةِ)، فلدينا (القارعة، المبثوث، راضية)، ومُراعاة الفاصلة سمة بارزة قد تؤثّر في التركيب من جِهةِ **الحذف** كما في (قلى)، فالأصل فيها (قلاكَ) لكن حُذِفت

الكاف مُراعاةً للفاصلة، وهناك أمرٌ بلاغيٌّ آخرُ هو التلطُّف بالنّبيّ عليه الصلاة والسلام بعدم ذِكرِه في سياق القِلى، وإن كان منفيًّا، وتؤثّر مُراعاة الفاصلة في التركيب من جِهةِ **التّقديم والتأخير** كما في (إيّاكَ نعبدُ) بدلًا من نعبدُكَ، وذلك لغرضِ التعبير عن تخصيص الله سبحانه بالعبوديّة، ونرى أنّ مُراعاة الفاصلة هي الأصل والتأويلاتُ الأخرى ثانويةً وقد تكون محلَّ نظرٍ، ونشيرُ إلى أنّ تلك المُراعاة على كونها سمةً بارزةً هي ليست دائمةً في كلِّ موضعٍ في القرآنِ، فسورة الرّحمن على طولها ومُراعاة فاصلة النون إلى جانب الميم التي تُقاربها في الصّفة والتي جاءت على قلّة وردتْ فيها آيتان خرجتا عن حرف الفاصلة هما: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِن صَلْصَـٰلٍ كَٱلْفَخَّـارِ ﴾ [الرحمن14]، وآيةٌ خرجت عن وزن الفاصلة هي ﴿ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴾ [الرحمن17].

- **السَّجْع**: مُصطلَح خاصٌّ بالنّثر، وهو يُقابلُ في القرآنِ الكريمِ الفاصلةَ، وفي الشّعر الرويّ، وهو مُتَّبعٌ في خُطَبِ العَرب، وقامت عليه الفنون النّثرية كالمقامات، وهو مُنتَبَذٌ؛ لأنّه ارتبطَ فنّيًّا بالتكلّف، وأخلاقيًّا بسَجعِ الكُهّان، فإذا خلا من التكلّف، ولم يكن لغرضِ التهويم والخِداع لم يكن به بأسٌ، والسّجع قد يؤثّر في بنية الكلمة؛ من ذلك قول النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «فارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ، غيرَ مَأْجُورَاتٍ»؛ أي موزوراتٍ؛ من الوِزر بمعنى الإثم، وليست من الإزر، لكنّ السّجع أدّى إليه، كما أدّى إلى جعلِ المُلِمّة لامّة في الحديث: «أَعُوذُ بكلماتِ اللّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لامَّةٍ»، ويرى بعضهم أنّ ذلك يكون في الفاصلةِ أيضًا؛ فكلمة (راضية) في الآية: ﴿ فَهُوَ فِي عِيشَـٰةٍ رَّاضِيَـٰةٍ ﴾ [القارعة:7] ، هي في الأصل (مرضيّ عنها)، لكنّ مراعاة الفاصلة حوّلتها عن حالها.

- **التّرصيع**: وهو كسابقيهِ على أنّه خاصٌّ بالشعرِ، وبالبيت الأوّلِ منه تحديدًا؛ إذ تتشابه نهايتا شطرَي البيت الأوّل، وتشابُه نهايات الأبيات هو الرويّ، وباب

الحديث عنه هو علم العَروض والقوافي، ويُسمّى التصريع أيضًا، فالترصيع من التزيين والحَلي، والتصريع من توحيد مِصراعَي البيت أي شطرَيه، وهو أيضًا سُنّة مُتّبعة عند الشعراء منذ القديم، وكأنّ الغرضَ منها رَسمُ موسيقا البحرِ والوزن وترسيخها في السّمع ابتداءً لمّا كان الشّعر يُتداوَلُ شِفاهًا وروايةً، ومن أمثلة الترصيع مطالع المُعلّقات كمعلّقة امرئ القيس:

قِفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ بسِقْطِ اللّوى بينَ الدَّخولِ فحَوملِ

- **الموازنة**: وتُسمّى أيضًا التّعادل النحويّ، بأن يكون التركيبان متعادلَين نحويًا وإيقاعيًّا أو وزنًا، وقد يتعادلان في الحرف الأخير، فتكون الموازنة تامّة، والموازنة تكون في القرآن الكريم وفي الشِّعر وفي النَّثر، ومن الموازنة النَاقصة التي يختلف فيها الحرف الأخير في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ ﴾ [الغاشية14-16]، ومنها في الشعر قول البحتريّ:

فقفْ مُسعدًا فيهنّ إنْ كنتَ عاذرًا وسِرْ مُبعدًا عنهنّ إنْ كنتَ عاذلا

ومن الموازنة التّامة في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [الضُّحى9،10]، ومنها في الشعر قول الخنساء:

حامي الحقيقةِ محمودُ الخَليقةِ ميـ ... ـمونُ الطّريقةِ نَفّاعٌ وضَرّارُ

جوّابُ قاصيةٍ جزّازُ ناصيةٍ عقّادُ ألويةٍ للخيلِ جرّارُ

ومن ذلك **الجِناس** غير أننا رأينا أنّ مكانه الأنسب له هو اقتران الألفاظ؛ إذ لا يُسهم في الجانب الصوتيّ التركيبيّ من جهة أنّ ورود الألفاظ فيه غير مُتناسب في الموقع، فقد تأتي الكلمة في أوّل تركيبٍ ومُجانِستُها في وسط تركيبٍ آخر.

فنون بناء الشّعر

وتتشعّب هذه الفنون في شُعبٍ هي:

- **فنونٌ لفظيّةٌ شكليّةٌ** لا فائدةَ تُرتجى منها في خدمة معنى، إنّما هي من قبيل التلاعب اللغويّ أو التَّرَف، فمنها: **التشريع** بأن تجعل للأبيات قافيتَينِ يصحُّ المعنى والوزن بالوقوف على أيّهما، ومنه قول الحريريّ في إحدى مقاماته:

يا خاطِبَ الدّنيا الدّنِيّةِ إنّها شَرَكُ الرّدى - وقَرارَةُ الأكدارِ
دارٌ متى ما أضْحكتْ في يومِها أبْكَتْ غدا - بُعْداً لها منْ دارِ
وإذا أظَلّ سَحابُها لم ينتَقِعْ منْه صدى - لجَهامِهِ الغرّارِ
غاراتُها ما تنْقَضي وأسيرُها لا يُفتَدى - بجلائِلِ الأخْطارِ
كمْ مُزْدَهًى بغُرورِها حتى بَدا متمَرّدا - مُتجاوِزَ المِقْدارِ
قلَبَتْ لهُ ظهْرَ المِجَنّ وأولَغَتْ فيهِ المُدى - ونزَتْ لأخْذِ الثّارِ
فارْبأ بعُمرِكَ أن يمُرَّ مُضَيَّعاً فيها سُدى - من غيرِ ما استِظْهارِ
واقطَعْ علائِقَ حُبّها وطِلابِها تلْقَ الهُدى - ورَفاهَةَ الأسْرارِ

ومنها **التّداخل** بأن تقرأ الأبيات عموديًّا وأُفقيًّا كقول الشاعر:

ألومُ صديقي وهذا محالْ
صديقي أحبُّ كلامٌ يقالْ
وهذا كلامٌ بليغُ الجمالْ
محالٌ يقالُ الجمالُ خيالْ

ومنها **القلب** بأن تقرأ الكلامَ من جانبَيهِ، ويُسمّى العكس اللفظيّ، وجعلوا منه قوله تعالى: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ [المدثر3]، وقوله تعالى: ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ ﴾ [الأنبياء33]

وقولهم: سِرْ فلا كبا بكَ الفرس، وقول الأرجّانيّ:

مودّتُهُ تدومُ لكلِّ هولٍ   وهل كلٌّ مودّتُهُ تدومُ

وعَدُّ الآيتَينِ السّابقتَينِ من قبيل فنّ العكس مما لا ينبغي؛ لأنّ هذا الفنّ ممّا يُقصَد إليه لغاية شكلية لا خدمة فيها للمعنى؛ إنّما ورود ذلك من باب ما اتّفقَ للقارئ أن يقع عليه، كما اتّفق له أن يجد في بعض الآياتِ وزنًا على بحور الشّعر مثلًا، وليست هي من الشّعر.

ومنها **لزومُ ما لا يلزمُ**، وهو الاعتماد على حرفَي سجْعٍ أو رويٍّ في حين أنّ واحدًا يكفي لانتظام الإيقاع، ومنه قول المعرّي صاحب الديوان المُسمّى باللزوميّات، لالتزامه بحرفَي رويٍّ في كل أبياته:

وَعَظَ الزَمانُ فَما فَهِمتَ عِظاتِهِ   وَكَأَنَّهُ في صَمتِهِ يَتَكَلَّمُ

لَو حاوَرَتكَ الضَأنُ قالَ حَصيفُها   الذِئبُ يَظلِمُ وَابنَ آدَمَ أَظلَمُ

أَطَردتَ عَنّا فارِساً ذا رُجلَةٍ   ساقَتهُ حاجَتُهُ وَلَيلٌ مُظلِمُ...

فالتزمَ اللامَ مع الميم، وهو في غُنيةٍ عنه.

فنونٌ مفصليّةٌ: وهي تقف على مفاصل الشّعر؛ مثل: حسن الابتداء، وحسن التخلّص، وحسن الختام أو المقطع، والحقّ أنّ هذه الفنون ليست بذات أهميّة كبيرة؛ لأنّ البصر بها يرجعُ إلى الذَوق، ونحن في هذا الكتاب وهذا العلم نتحدّث في المعرفة، ولنا أن نقارب أمرَ هذه المفاصل، فنقول: إنّه لا ضابط لجمال المطلع سوى أنّ الشعراء الأوائل كانت تستهلّ شعرها بالوقوف على الأطلال، وكانت المقدمة الغزلية ممّا يُجمَعُ على أهمّيّته في كل العصور، كان ذلك في بُردةِ كعب بن زهيرٍ على سبيل المثال، وهي قصيدة في مدح النبيّ عليه الصلاة والسلام، ذلك أنّ الغزل والنسيب ممّا يشدّ المسامع والقلوب، وكان النّقاد يرون ضرورة الابتداء بما يدلّ على الغرض. أمّا حسن التخلّص من غرضٍ إلى غيره فكان ذا وجهَينِ: أوّلهما لفظيٌّ باستخدام عبارات معيّنة؛ مثل: (دعْ ذا) و(عدِّ عن ذا)، ومن ذلك التفات الشاعر من الفخر إلى وصف مجلس غناء:

ولنا دعائمُ قد بناها أوّلٌ   في المكرماتِ جرى عليها المولدُ
من رامها حاشا النبيَّ وأهلَهُ   بالفخرِ غطمطَهُ الخليجُ المُزبدُ
دعْ ذا ورحْ لغناء خودٍ بَضّةٍ   ممّا نطقتُ بهِ وغنّى معبدُ
مع فتيةٍ تندى بطونُ أكفّهم   جوداً إذا علجَ الحَرونُ الأنكدُ

والآخر من ضربَي حسن التخلّص معنوي يدلّ على نباهةِ الشاعر وبراعته، ومنه قول أبي العتاهية متنقّلًا من الغزل إلى المدح:

وأحببتُ من حبِّها الباخليـ .... ـنَ حتّى ومقتُ ابْنَ سَلْمٍ سَعيدا
يغيرُ على المالِ فعلَ الجواد ... وتأبى خلائقُهُ أن تجودا

أمّا حسن الخِتام أو المقطع أو القفلة، فهو ذو أهميّة كبرى، وذلك أنّ الخاتمة هي الصوت الأخير الذي يُرجعه الصدى، وتنتهي عنده لذّة الاستماع أو القراءة، وقيل: هذا هو مِسكُ الخِتام لما كان آخرًا، وفي الحديث: "إنّما الأعمال بالخواتيم"، فالخاتمة هي الأثر الأخير الذي تُصَبُّ فيه عُصارةُ ما مضى، فإن أسيءَ لها أسيءَ للأثر، غير أنّنا لم نقف في شأن كلام البلاغيّين والنقّاد على الخاتمة سوى على قولهم بضرورة تحسينها والإجادة فيها وعدم بتر القصيدة، ولم يبيّنوا كيف يكون ذلك، وكان القرطاجنّيّ في (منهاج البلغاء) قد اهتمّ بتلك المفاصل اهتمامًا كبيرًا، وهو يتكلّم على الإبانة عن كيفية العمل في إحكام مباني القصائد وتحسين هيآته.

فنونٌ معنويّةٌ نقديّةٌ: وهي تتعلّق بطريقة تعامل الشعراء مع كلام الآخرين، وتدخل فيه فنون الأخذ أو الاحتذاء أو السَّرَق أو الاقتباس والتضمين، وهي مصطلحات مترادفة المعنى، وقد يكون الشاعر قد قصّر في المعنى أو أضاف وأبدع، وقد يكون قد قصّر في اللفظ أو أطال وأطنب، وقد يكون قد غيّر ووظّف، وهذه الفنون مجالها النّقد كما أسلفنا، ولنا حديث مُفصّل عنها في كتابنا (البلاغة القديمة؛ أسسها النقديّة وتمثّلاتها التداوليّة والأسلوبيّة) وذلك في باب بلاغة المعنى.

نصوص للمطالعة

النصّ الأوّل لشمس الدّين الكوفيّ:

عندي لأجلِ فراقِكم آلامُ فإلام أُعذَلُ فيكمُ وأُلامُ؟
ويذيبُ روحي نوحُ كلِّ حمامةٍ فكأنّما نوحُ الحَمام حِمامُ
مَن كانَ مثلي للأحبّةِ فاقداً لا تعذلوه فالكَلام كِلامُ
يا دارُ مذْ أفلتْ نجومُكِ عمَّنا واللّهِ من بعدِ الضياءِ ظلامُ
فلبعدِهم قرُبَ الردى ولفقدِهم فُقد الهدى وتزلزلَ الإسلامُ.

النصّ الثّاني لعبد الغني النابلسيّ:

نسماتُ هواكَ لها أرجُ تحيا وتعيشُ بها المهجُ
قومٌ فعلوا خيرًا فعَلَوا وعلى درجِ العليا درجوا
فِهموا المعنى فهمُ معنا وبذكرِ الله لهم لهجوا
تهوى ليلى وتنامُ الليلَ لعَمرُكَ ذا قولٌ سَمِجُ
لا أعتبُ قلبَ الغافلِ عنـ ... ـكَ فليس على الأعمى حرجُ.

النصّ الثّالث للبُرَعيّ:

أغيبُ وذو اللطائفِ لا يغيبُ وأرجوهُ رجاءً لا يخيبُ
وأسألهُ السلامةَ منْ زمانٍ بليتُ بهِ نوائبُهُ تشيبُ
وأُنزلُ حاجتي في كلِّ حالٍ إلى منْ تطمئنُّ بهِ القلوبُ
ولا أرجو سواهُ إذا دهاني زمانُ الجورِ والجارُ المريبُ
فكمْ للهِ منْ تدبيرِ أمرٍ طوتهُ عنِ المشاهدةِ الغيوبُ
وكمْ في الغيبِ منْ تيسيرِ عسرٍ ومنْ تفريجِ نائبةٍ تنوبُ

ومنْ كرمٍ ومنْ لطفٍ خفيٍّ ومنْ فرجٍ تزولُ بهِ الكروبُ
وماليَ غيرُ بابِ الله بابٌ ولا مولى سواهُ ولا حبيبُ
كريمٌ مُنعِمٌ بَرٌّ لطيفٌ جميلُ السترِ للداعي مجيبُ
حليمٌ لا يعاجلُ بالخطايا رحيمٌ غيثُ رحمتهِ يصوبُ
فيا ملكَ الملوكِ أقلْ عِثاري فإنّي عنكَ أنأتني الذنوبُ
وأمرضني الهوى لهوانِ حظّي ولكنْ ليسَ غيركَ لي طبيبُ
وعاندني الزمانُ وقلَ صبري وضاقَ بعبدكَ البلدُ الرَّحيبُ
فآمنْ روعتي واكبتْ حسودًا يعاملني الصداقةَ وهوَ ذيبُ
وآنسني بأولادي وأهلي فقدْ يستوحشُ الرجلُ الغريبُ
هو الرحمنُ حولي واعتصامي بهِ وإليهِ مبتهلاً أُنيبُ
وراعِ حمايتي وتولَّ نصري وشدَّ عرايَّ إن عرتِ الخطوبُ
وقلْ عبدُ الرحيمِ ومنْ يليهِ لهمْ في ريفِ رأفتنا نصيبُ
فظني فيكَ يا سندي جميلٌ ومرعى ذود آمالي خصيبُ
وصلِّ على النبيِّ وآلهِ ما ترنَّمَ في الأراكِ العندليبُ.

النصّ الرّابع للحُصْريّ القَيرَوانيّ:

يا ليلُ الصبُّ متى غدُه أقيامُ السَّاعةِ مَوْعِدُهُ؟
رقدَ السُّمَّارُ فأَرَّقه أسفٌ للبيْنِ يردِّدُهُ
فبكاهُ النّجمُ ورقَّ له ممّا يرعاه ويرْصُدُهُ
كلِفٌ بغزالٍ ذِي هَيَفٍ خوفُ الواشين يشرّدُهُ
نصَبتْ عينايَ له شرَكًا في النّومِ فعزَّ تصيُّدُهُ
صنمٌ للفتنةِ منتصبٌ أهواهُ ولا أتعبَّدُهُ
صاحٍ والخمرُ جَنَى فمِهِ سكرانُ اللّحظ مُعرْبدُهُ
ينضُو مِنْ مُقْلتِه سيْفًا وكأَنَّ نُعاساً يُغْمدُهُ
فيُريقُ دمَ العشّاقِ به والويلُ لمن يتقلّدُهُ

كلّا لا ذنبَ لمن قَتَلَتْ عيناه ولم تَقتُلْ يدُهُ
يا من جَحَدتْ عيناه دمِي وعلى خدَّيْه توَرُّدُهُ
خدّاكَ قد اِعْتَرَفا بدمِي فعلامَ جفونُك تجْحَدُهُ
بالله هَبِ المشتاق كَرًى فلعَلَّ خيالَكَ يُسْعِدُهُ
ما ضَرَّك لو داوَيْتَ ضَنَى صَبٍّ يُدْنيكَ وتُبْعِدُهُ
يهْوى المُشْتاقُ لقاءَكُمُ وصروفُ الدَّهْرِ تُبَعِّدُهُ
ما أحلى الوَصْلَ وأَعْذَبهُ لولا الأيّامُ تُنَكِّدُهُ
بالبَينِ وبالهجرانِ فيا لِفُؤَادِي كيف تَجَلُّدُهُ؟.

النصّ الخامس لأبي تمّام:

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ في حدّهِ الحدُّ بينَ الجِدِّ واللَّعبِ
بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ في مُتُونِهنَّ جلاءُ الشَّكِ والريَبِ
والعِلْمُ في شُهُبِ الأَرْمَاحِ لامِعَةً بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا في السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
أَيْنَ الروايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا صَاغُوه مِنْ زُخْرُفٍ فيها ومنْ كَذِبِ
تخرُّصًا وأحاديثًا ملفَّقةً لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ ولا غَرَبِ
عجائبًا زعموا الأيَّامَ مُجْفلةً عَنْهُنَّ في صَفَرِ الأَصْفَار أَوْ رَجَبِ
وخَوَّفُوا النّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إذا بدا الكوكبُ الغربيُّ ذو الذَّنبِ
وصيَّروا الأبرجَ العُلْيا مُرتَّبةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غيْرَ مُنْقَلِبِ.

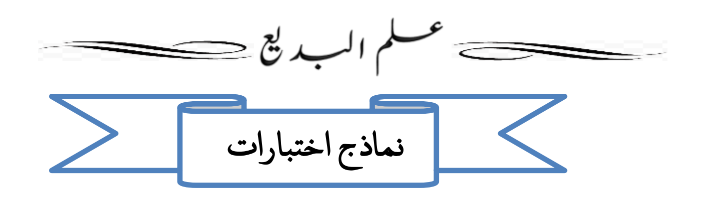
النصّ السّادس للقاضي الفاضل:

وَأَغيَدٍ شُقَّ لي فيهِ قَميصُ تُقًى وَفاضَ دَمعي عَلَيهِ مِن دَمٍ سَرِبِ
سَتَرتُهُ مِن عَذولٍ إِنْ رَضيتُ بِأَنْ أَموتَ فيهِ فَما مَعناهُ بِالغَضَبِ
فَهوَ القَميصُ الذي جِئتُ العِشاءَ بِهِ وَما أَتَيتُ عَلَيهِ بِالدَّمِ الكَذِبِ
وَلا مَنِيَّةَ إِلّا قَبلَها سَبَبٌ وَجَفنُهُ لِلمَنايا أَوكَدُ السَّبَبِ
وَأَسطُرُ الحُسنِ في عَينَيهِ واضِحَةٌ وَزادَ إيضاحَها شَكلٌ مِنَ الهَدَبِ
كَالسُّحْبِ مُسوَدَّةَ المَرأى وَدانِيَةً وفي جُفوني أَرى مُستَودَعَ السُّحُبِ

تَقَدَّمَتْ هُدْبُكَ الأَجفانَ شائِكَةً مِثلَ السِّهامِ التي أَنْذَرنَ بِالقُضُبِ
فاضَت عَلَيهِ دُموعي فِضَّةً فَإِذا أَغلى الوِصالَ شَراهُ الجَفنُ بِالذَّهَبِ.

النصّ السّابع لبهاء الدين زهير:

غَيري عَلى السَّلوانِ قادِرْ وَسِوايَ في العُشّاقِ غادِرْ
لي في الغَرامِ سَريرَةٌ وَاللَّهُ أَعلَمُ بِالسَّرائِرْ
وَمُشَبَّهٌ بِالغُصنِ قَلـ ... ـبي لا يَزالُ عَلَيهِ طائِر
حُلوُ الحَديثِ وَإِنَّها لَحَلاوَةٌ شَقَّت مَرائِرْ
أَشكو وَأَشكُرُ فِعلَهُ فَاعجَبْ لِشاكٍ مِنهُ شاكِرْ
لا تُنكِروا خَفَقانَ قَلـ ... بي وَالحَبيبُ لَدَيَّ حاضِرْ
مَا القَلبُ إِلّا دارُهُ ضُرِبَت لَهُ فيها البَشائِرْ
يا تارِكي في حُبِّهِ مَثَلاً مِنَ الأَمثالِ سائِرْ
أَبَدًا حَديثي لَيسَ بِالـ ... ـمَنسوخِ إِلّا في الدَفاتِرْ
يا لَيلُ مالَكَ آخِرٌ يُرجى وَلا لِلشَوقِ آخِرْ
يا لَيلُ طُلْ يا شَوقُ دُمْ إِنّي عَلى الحالَينِ صابِرْ
لِيَ فيكَ أَجرُ مُجاهِدٍ إِن صَحَّ أَنَّ اللَيلَ كافِرْ
طَرفي وَطَرفُ النَجمِ فيـ ... ـكَ كِلاهُما ساهٍ وَساهِرْ
يَهنيكَ بَدرُكَ حاضِرٌ يا لَيتَ بَدري كانَ حاضِرْ
حَتّى يَبينَ لِناظِري مَن مِنهُما زاهٍ وَزاهِرْ
بَدري أَرَقُّ مَحاسِنًا وَالفَرقُ مِثلُ الصُبحِ ظاهِرْ.



أوّلًا الاختبارات للمستويات المُبتدِئة

السؤال الأول: أختَارُ الإجَابَةَ الصَّحِيحَةَ:

1- ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ* وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾. نوعُ البديع هو:

A- جناس ناقص وترادف B- جناس ناقص C- جناس تامّ D- ترادف

2- باللّه يا ظَبَيَاتِ القاعِ قلنَ لنا ليلايَ منكنَّ أم ليلى من البشرِ؟

نوعُ البديع هو:

A- المبالغة B- تجاهل العارف C- حسن التعليل D- المذهب الكلاميّ

3- ﴿ الشمسُ والقمرُ بِحُسبانٍ﴾. نوعُ البديع هو:

A- جمع وتفريق B- جناس C- جمع وتفريق ومذهب كلاميّ D- مذهب كلاميّ

4- ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾. نوعُ البديع هو:

A- طباق إيجاب B- جمع وتفريق C- طباق إيجاب وجمع وتفريق D- طباق سلب

5- ﴿ وَمَا تِلكَ بيمينِكَ يا موسى﴾ . سبب السؤال هو:

A- الإيناس B- التقرير C- الإنكار D- التنبيه

6- قلبي الصواري، والبحار دمي، وشعري الباخرة. نوع البديع هو:

A- تناسب مجازيّ B- تورية C- مبالغة D- مُراعاة النظير

7- أغيبُ وذو اللطائفِ لا يغيبُ وأرجوهُ رجاءً لا يخيبُ.

نوع البديع هو:

A- جناس ناقص B- طباق سلب C- جناس ناقص وطباق سلب D- ترادف

8- كفى بجسمي نحولًا أنّني رجلٌ لولا محادثتي إيّاك لم ترَني.

نوع المبالغة هو:

A- ممكنة بعيدة B- مستحيلة C- مستحيلة مخفّفة D- ممكنة قريبة

9- ﴿تَدعُو مَن أَدبرَ وتَوَلّى﴾. نوعُ البديع هو:

A- جناس تامّ B- طباق إيجاب C- ترادف D- طباق إيجاب وترادف

10- فقالتْ: رُحْ بربّكَ من أمامي فقلتُ لها: بربّكِ أنتِ روحي.

سبب التورية هو:

A- الخوف B- المزاح C- العشق D- الهجاء

11- ﴿ لو كانَ فيهما آلهةٌ إلّا الله لفسدتا ﴾. نوعُ البديع هو:

A- التورية B- المذهب الكلاميّ C- المناسبة D- حسن التعليل

12- ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾.

نوع البديع هو:

A- طباق إيجاب B- وجمع وتفريق C- ترادف وجمع وتفريق D- طباق إيجاب وجمع وتفريق

13- ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ* وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا﴾. نوعُ البديع هو:

A- طباق إيجاب B- جناس C- مبالغة D- ترادف

السؤال الثاني: أصِلُ بين العباراتِ في (أ) بما يناسِبُها في (ب):

(أ)	(ب)
تماثل كلمتين في اللفظ واختلافهما في المعنى.	طباق إيجاب
اختلاف كلمتين متماثلتين في حرف أو حركة أو عدد أو ترتيب.	جناس تامّ
تضادّ كلمتين في المعنى.	ترادف
تماثل كلمتين في المعنى واختلافهما في اللفظ.	جناس ناقص

يحتاج إلى كلمات متناسبة	المذهب الكلاميّ
يكون له معنيان: ظاهر مفهوم وغير ظاهر مقصود	حسن التعليل
إيجاد علّة فنيّة غير منطقية لأمر ما	التّورية
إيجاد علّة منطقية لأمر ما	التّناسب

السؤال الثالث: أضَعُ إشَارَةَ (√) للإجَابَةِ الصَّحِيحَةِ و(X) للإجَابَةِ الخَاطِئَةِ:

في الجمع والتفريق يدلّ الجمع على الحدث والعدد .....

المعنى الظاهر هو المقصود في التورية .....

الجناس التامّ يكون بتماثل الكلمتين في اللفظ والمعنى .....

شروط المناسبة هي وجود مجاز فقط .....

المبالغة تكون مستحيلة فقط .....

السؤال الرابع: أكملُ الكلمات والعبارات الآتية بحسب الفنون البديعية المذكورة:

1- أستخدمُ الكلمات الآتية في الجمع والتفريق:	الصدق- الأمانة- الوفاء	....
2- أجعلُ من الكلمات الآتية مناسبة مع المجاز:	أذن – تسمع - صوت	....
3- أجعلُ الوصف الآتي في المبالغة:	الليل طويل جدًّا	....
4- أكملُ الجملة الآتية مستعملًا حسن التعليل:	بكت السماء	....

السؤال الخامس: أستخرجُ من البيت الآتي فنَّين بديعيَّينِ وأسمّيهما:

ما لي أرى الشمعَ يبكي في مواقدِهِ   من حرقةِ النارِ أم من فرقةِ العسلِ

1- ....، ....

2- ....، ....

ثانيًا الاختبارات للمستويات المُتقدِّمة

1. أتحدّثُ عن فنون التّكرار مع مِثالٍ لكلّ نوع

- ....
- ....
- ....
- ....
- ....

2. أتحدّثُ عن تجلّيات اقتران المعاني وفنونها

....
....
....
....

3. أقرأُ سورة القارعة بديعيًّا

....
....
....
....

4. أكتبُ موضوعًا عن الصدق موظِّفًا سبعةً من فنون البديع

....
....
....
....

5. أحدّدُ الفنَّ الذي تنتسبُ إليه الأمثلةُ الآتيةُ:

- دعاني من مَلامِكما سَفَاها　　فداعي الشَّوقِ قبلَكما دعاني ....
- يا لائِمي في الهَوَى العُذْرِيّ مَعْذِرَةً　　مِنّي إليكَ ولو أَنْصَفْتَ لَمْ تَلُمِ ....
- أنتمْ حَلَلْتُمْ عندَ قَفراءِ النُّهى　　وأنزِتُمُ في ليليَ المعتومِ ....
- مودّتُهُ تدومُ لكلِّ هولٍ　　وهل كلُّ مودّتُهُ تدومُ ....
- ما لي أرى الشمعَ يبكي في مواقدِهِ　　من حرقةِ النارِ أم من فرقةِ العسلِ؟ ....
- ولا عيبَ فيهِ غيرَ أنَّ خدودَهُ　　بِهِنَّ احمرارٌ من عيونِ المُتَيَّمِ ....

﴿ الخاتمة ﴾

حاولنا جهدَنا أن نقدّمَ فنونَ البديعِ بحُلّةٍ قشيبةٍ، وعرضٍ موجَزٍ مُبسّطٍ بذكرِ الحدودِ والتفريعاتِ المُدلّةِ غيرِ المملّةِ ولا المُخلّةِ، وباختيارِ الأمثلةِ الدالّةِ المعبّرةِ، ولمّا كانَ هدفُنا الإفادةَ والتيسيرَ على طلبةِ العلمِ رأينا أن نجدّدَ بأن نغيّرَ طريقةَ العرضِ بالإقلالِ من التفريعاتِ، وجمعنا أشتاتَ الفنونِ؛ مفهوماتِها ومصطلحاتِها، وجعلنا لكلّ أعضاءٍ منها رأسًا؛ يؤطّرُها ويعقلُ شاردَها، وسعينا إلى تجنّبِ التفصيلاتِ الكثيرةِ، وشفعنا كلَّ فنٍّ بمناقشةٍ في سبيلِ تغذيةِ فكرِ القارئِ، وسعينا في الوقتِ ذاتِهِ أن نُقلقِلَ عقلَ القارئِ ليقفَ على ضرورةِ التجديدِ، والأمرُ أنّنا لم نركنْ للناجزِ ونعدَّه الحقَّ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفهِ، بيدَ أنّنا لم نخرجْ عن المادّةِ، بل كانتِ الأساسَ الذي اعتمدناه، وأعدنا فيهِ النظرَ؛ نقلّبُ وجوهَهُ بما يرفعُ البناءَ ولا ينسخُه، ونسألُ اللّه أن يكونَ الأمرُ ما رُمناه...

﴿ المصادر والمراجع ﴾

أفدتُ من تراث علماء البلاغة وأساتيذها؛ من الكتب التي ترجع إلى زمن ما أسميتُه تاريخ البلاغة القديمة؛ مثل كتب الجرجانيّ والعسكريّ وابن أبي الأصبع وابن رشيق وغيرها، كما رجعتُ إلى الكتب التعليميّة المصادر؛ مثل كتاب (مفتاح العلوم) للسّكّاكيّ، والكتب التابعة له لابن الناظم والقزوينيّ والتفتازانيّ والسّبكيّ وغيرها، ورجعتُ إلى الكتب التعليميّة الحديثة؛ مثل: (جواهر البلاغة) للهاشميّ، و(علوم البلاغة) للمراغيّ، و(المفصّل) للعاكوب، و(البلاغة العربية) لحبنّكة الميدانيّ، و(في البلاغة العربية) لعتيق وغيرها...

للمؤلِّف:

1- هذا الكتاب (البلاغة التعليميّة/ علم البديع؛ عرضٌ جديدٌ وآراءٌ تجديديّةٌ)- دار شرفات، تركيا 2021.

2- ديوان شعر مطبوع بعنوان (لا شيء يشبهني)- دار شرفات، تركيا 2020.

3- البلاغة القديمة؛ أسسها النقديّة وتمثّلاتها الأسلوبيّة والتداوليّة- دار شرفات، تركيا 2020.

4- العربية التواصليّة. بالاشتراك- مركز الاستشراف، إسطنبول 2020

5- مراجعات في علوم اللغة والأدب التراثيّة والوافدة؛ المصطلح. بالاشتراك- دار سونتشاغ، أنقرة 2020.

6- قراءات في اللغة والأدب. بالاشتراك- دار سونتشاغ، أنقرة 2020.

7- التعايش من منظور العلوم الإنسانيّة. بالاشتراك- دار سونتشاغ، أنقرة 2020.

8- الأدب الشعبيّ العربيّ في ماردين. بالاشتراك- دار كريتر، إسطنبول 2019.

9- التفكير البيانيّ عند العرب؛ قراءة تداوليّة- دار سنابل، إسطنبول 2019.

10- الإجراءات التداوليّة في التراث البلاغيّ العربيّ بين التأويل والحِجاج والإنجاز- دار سنابل، إسطنبول 2019.

11- نقد الظواهر الأسلوبية في التراث العربيّ؛ مدخل إلى النقد الفكريّ- نور نشر 2019.

12- جمهرة البلاغة للإمام الفراهيّ؛ دراسة وتحقيق. بالاشتراك- دار سنابل، إسطنبول 2019.

13- شعر الإمام الفراهيّ؛ دراسة وتحقيق. بالاشتراك- دار سنابل، إسطنبول 2019.

14- دراسات في علم المعاني. بالاشتراك- دار الفرقان، حلب 2010.

15- (البلاغة الحيّة)؛ كتاب قيد الإنجاز.

16- تتمّة البلاغة التعليمية (البيان والمعاني) قيد الإنجاز.

17- (قراءات؛ مُناقشة أبرز المفاهيم المتعلّقة بالنّصّ)؛ كتاب قيد الإنجاز

18- ديوان شعر مخطوط بعنوان (كثير من الموت، قليل من الحياة).

19- كتاب مخطوط بعنوان (النقد العربيّ القديم بين الذوق والمعرفة).

20- ما يقرب من العشرين بحثًا في المجلّات المحكّمة التركيّة والعربيّة وفي المؤتمرات العلميّة في مجالات النحو والبلاغة والنقد والأسلوبيّة والتداوليّة وعلم النصّ وتعليم العربية للناطقين بغيرها.

حاولنا جهدَنا أنْ نقدّمَ فنونَ البديعِ بحُلّةٍ قشيبةٍ، وعرضٍ موجَزٍ مُبسّطٍ بذكرِ الحدودِ والتفريعاتِ المُدلّةِ غيرِ المملّةِ ولا المُخلّةِ، وباختيارِ الأمثلةِ الدالّةِ المعبّرةِ، ولمّا كانَ هدفُنا الإفادةَ والتيسيرَ على طلبةِ العلمِ رأينا أنْ نجدّدَ بأنْ نغيّرَ طريقةَ العرضِ بالإقلالِ من التفريعاتِ، وجمعنا أشتاتَ الفنونِ مفهوماتِها ومصطلحاتِها، وجعلنا لكلّ أعضاءٍ منها رأسًا؛ يؤطّرُها ويعقلُ شاردَها، وسعينا إلى تجنّبِ التفصيلاتِ الكثيرةِ، وشفعنا كلَّ فنٍّ بمناقشةٍ في سبيلِ تغذيةِ فكرِ القارئِ، وسعينا في الوقتِ ذاتِهِ أنْ نُقلقِلَ عقلَ القارئِ ليقفَ على ضرورةِ التجديدِ، والأمرُ أنّنا لم نركنْ للناجزِ ونعدَّه الحقَّ الذي لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديهِ ولا من خلفِهِ، بيدَ أنّنا لم نخرجْ عن المادّةِ، بل كانتِ الأساسَ الذي اعتمدناه، وأعدنا فيهِ النظرَ؛ نقلّبُ وجوهَهُ بما يرفعُ البناءَ لا ينسخُه، ونسألُ اللّهَ أنْ يكونَ الأمرُ ما رُمناه...








9 786057 032348